شارلوت لامب

وفازت...

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

A WILD AFFAIR



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

وفازت ق ٢٨

١ـ ما حدث خلال دقائق معدودة لا يمكن ان يكون في عالم الواقع . كوينسي جونز نالت الجائزة، وهي رحلة مع المغني الشعبي جو ألدونيز . . . معظم فتيات العالم يدفعن حياتهن ثمناً لهذا!

تأهبت كوينسي لتهيئة طعام العشاء، غير انها كانت شاردة الذهن بين المعكرونة التي كانت تطبخها وحديث برندن عن العجل الذي قام بتوليده منذ بضع ساعات. وكان برندن شاباً طويل القامة، ذهبي الشعر، بدأ ممارسة الطب البيطري منذ مدة لا تزيد عن سنوات خمس، ولذلك لا يزال يعتقد ان مهنته هذه ألذ مهنة في العالم. وكانت كوينسي، بوصفها ابنة شريك برندن في العمل، معتادة على سماع المشاكل الطبية الخاصة بعالم الحيوان، مما حمل برندن على الاعتقاد انها أفضل من يصغي الى مثل هذه المشاكل. وبالحقيقة فان نجاحه بتوليد ذلك العجل اعتبر انتصاراً على كل الصعوبات التي اعترضته، حتى ان المزارع صاحب العجل ربت على كتفه بحرارة وهنأه على

مهارته الفائقة.

وأصغت اليه كوينسي وهي تبتسم. ومع انها لم تكن تتكلم، الا ان ظهورها بمظهر المتمتع بحديثه كان كل ما يتمناه. وكانت شغوفة به وسعيدة بانتصاراته التي كان يحققها في حقل اختصاصه.

وكان والداها سيتناولان طعام العشاء في احد المطاعم، احتفاء بذكرى مولد والدتها السيدة جونز. وكان في وسعها ان تسمع والدتها تغني وهي في الحمام، فيما كان والدها السيد جونز يحلق ذقنه بالحلّاقة الكهربائية. وبالاضافة الى ذلك، كان الراديو في غرفة بوبي يرسل انغاماً موسيقية لم يكن بوبي يستطيع القيام بفروضه المدرسية من دونها، وهي طريقة حاول والده عبثاً اقناعه ببطلانها.

كان ذلك المساء الربيعي دافئاً. ولم يكن يساور كوينسي اية خشية من المستقبل، فيما هي تخرج حاجتها من المعكرونة وتضعها في الماء الذي ستغليها فيه.

وحين دق جرس الباب توقف برندن عن الكلام وتنهد قائلاً:

ـ كنت أعلم أني سأستدعى مرة ثانية... لماذا يحدث ذلك كلما كنت في زيارة؟

فضحكت كوينسي ونزعت مئزرها قائلة:

ـ لا تكن متشائماً. ربما كانت بيني هي الطارق، لأنها اخبرتني بانها قد تأتي لزيارتي.

وفيما هي تخرج من المطبخ، لاحقها برندن بنظراته وهو متجهم الوجه، كأنما كان يتوقع سوءاً. كان في ذلك النهار أرهق نفسه في العمل ووعد نفسه بقضاء سهرة هادئة مع كوينسي. وكانت دعته الى العشاء، وآخر ما كان يريده هو ان يقضي الساعات المقبلة في حظيرة الحيوان، عوض ان يقضيها في التحدث الى كوينسي وتناول طعام العشاء معها.

وسارت كوينسي نحو باب المنزل، ولما فتحته لم تصدق ما رأته عيناها. كان في الباب رجل بلغت بها المفاجأة عند رؤيته، بحيث لم

تلاحظ وجود القوم الذين كانوا واقفين وراء كتفيه العريضتين.

وما ان حياها بابتسامة حارة، حتى لمعت آلات التصوير من كل صوب، فانبهرت عيناها ولم تعد تستطيع ان ترى ما يجري حولها.

وانهالت عليها الاسئلة:

- كيف تشعرين وقد تحقق حلمك يا كوينسي؟

- التفتي الى هنا يا حلوتي...

- هل تصورت انك ستربحين يا كوينسي؟

وشعرت كوينسي بالدوار تحت وطأة هذه الاسئلة وسواها، وحارت في تصديق ما يجري لها وحولها. من هم كل هؤلاء الناس! وماذا كانوا يقولون؟

وأخذت تقاوم بعناد للاحتفاظ بتوازنها. وكانت أيدي المصورين والصحفيين تتنازعها من كل جانب، حتى انها اخذت تدور على نفسها كما في رقصة الدراويش. وبدا لها ان الأمر سيستمر على هذه الحال الى الأبد، غير انها لم تلبث ان استعادت كامل وعيها ولمحت جو الدونيز يتقدم نحوها مبتسماً ويقول:

- لا تفزعي... هدئي روعك!

وصاح بها أحد المصورين قائلاً:

- هل لنا بصورة يا سيد الدونيز؟

وهتف آخرون قائلين له:

- عانقها يا جو... اسرع... نريد ان نلتقط الصورة.

فاطاع جو الدونيز وطوق كوينسي بذراعيه، فيما سطعت أنوار آلات التصوير. وأحست كوينسي، وهو يضمها اليه، ان العالم يهتز تحت قدميها فتعلقت بكتفيه وجدائل شعرها الكستنائي المرسل يكاد يغطي وجهها.

وأيقنت كوينسي وهي تعاني ما تعانيه انها لا بد فقدت عقلها. فالذي جرى لها في خلال دقائق معدودة لا يمكن ان يكون في عالم الواقع، بل كان كابوساً مرعباً في عالم الاحلام.

وفجأة سمعت صوتاً يصيح:

- ما هذا الذي أراه؟

وخيل الى كوينسي ان هذا السؤال كان في محله، الا انها بقيت متعلقة بالرجل الذي كان يضمها اليه، كأنما لم تقتنع بعد ان ذلك الصوت يأتي، هو الآخر، من عالم الواقع. ولكنها لم تلبث ان ادركت خطأها عندما عاد الصوت الى الصياح بقوة:

- ما بالكم؟ وماذا تفعلون هنا...

فابتعدت كوينسي عن الرجل، وقد اصطبغ وجهها بالاحمرار واخذت ترتعش وهي تحدق الى والدها الذي كان واقفاً في أعلى السلم يرسل نظراته الغاضبة اليها والى الواقفين حولها.

ولم يوفره المصورون، بل التقطوا صورته أيضاً. ورأت كوينسي ان والدتها تتلطى خلف والدها وتمسك باذيال ثوبها المنزلي الطويل.

وعاد السيد جونز الى السؤال قائلاً بغيظ:

- أليس فيكم من يجيبني على سؤالي؟ ماذا تفعلون هنا؟

وحاول الجميع الاجابة بصوت واحد، حتى انه لم يفهم ما كانوا يقولون. ثم تقدم جو الدونيز الى الامام بسرعة ووجه كلامه الى الحاضرين قائلاً:

- كفى ايها السادة! اعتقد انكم التقطتم ما تحتاجون اليه من الصور الآن، وكارمن ستزودكم بالاخبار تباعاً فيما بعد. فانصرفوا في الحال، كل الى مكان عمله!

فاخذوا ينصرفون وهو يدفعهم الى الأمام كقطيع من الغنم. وما ان خرجوا من الباب حتى أغلقه وراءهم وبقي هو في الداخل. فجن جنونهم وراحوا يندّدون به، ولكنه لم يأبه لهم.

والتفت الى السيد جونز قائلاً:

- حصلوا على ما جاؤوا لأجله، فلماذا الطمع؟

وتساءلت كوينسي ماذا كان يقصد بذلك، وهي لا تزال تحاول ان تقنع نفسها بأنها لم تكن ضحية حلم مزعج.

ولم يكن الدونيز وحده الذي بقي بعد ذهاب المصورين ورجال الصحافة، بل كان معه رجل في بزة زرقاء اللون، لم يتفوه بكلمة، ولكنه كان يبتسم باستمرار، وفتاة شقراء ترتدي معطفاً من الفرو الأنيق.

وقالت الفتاة للسيد جونز:

ـ اعتذر لهذه المضايقة... كان علينا ان نتلفن لكم لنخبركم بقدومنا، ولكننا آثرنا ان يكون قدومنا مفاجأة سارة لكوينسي.

وفي ذلك نجحوا حقاً. وكانت كوينسي بدأت تستعيد اتزانها من تأثير هذه المفاجأة وما رافقها من هرج ومرج، واصبحت الآن تشعر بالضيق والانزعاج.

وهمت بأن تتذمر، غير ان الفتاة الشقراء بادرتها بالقول:

ـ تهانينا يا كوينسي!

وكان في نبرتها ما ينم عن انها كانت تتكلم كمن له سلطة ومقام، مما لم يرق لكوينسي، فاجابت قائلة:

ـ ماذا تقولين؟ ومن أنت؟

ولم تكن كوينسي نظرت الى الدونيز منذ أنغلق الباب، ولكنها كانت على علم انه كان بين الحاضرين.

وقالت لها الفتاة الشقراء:

ـ فزت بالجائزة!

ـ ماذا تقولين؟

وكان هذا السؤال على رأس لسان والدها، فنزل درجات السلم وكرر السؤال قائلاً:

ـ نعم، ماذا تقولين؟

فابتسمت الفتاة الشقراء ومدت يدها لمصافحته، فصافحها وهو يحدق اليها سائلاً:

ـ ومن أنت؟

ـ أنا كارمن ليستر، رئيسة تحرير مجلة **فايبس**. وانت، ألست

السيد جونز... والد كوينسي؟
ولم يجبها على سؤالها، بل سألها بدوره قائلاً:
- وأية مجلة هي هذه المجلة؟
- مجلة تعنى بالموسيقى...
- وهل انت صديقة لابنتي؟ وماذا كان جميع هؤلاء المصورين يفعلون هنا؟ ولماذا التقطوا كل هذه الصور لابنتي؟ ومن هو الرجل الذي كان يعانقها؟
فابتسمت كارمن وأجابت قائلة:
- هو السيد جو الدونيز...
- ومن هو السيد جو الدونيز هذا؟
- ألا تعلم؟ انه نجم شهير!
وكانت السيدة جونز نزلت، هي أيضاً، درجات السلم واخذت تحملق في السيد الدونيز بدهشة وتعجب. ذلك انها كانت تسمع به، أسوة بمعظم النساء. فأغانيه كانت من اكثر الاغاني شعبية لأنها كانت، بفضل صوته المثير، تبعث النشوة في العروق.
وقالت كارمن:
- مجلة فايبس أجرت مسابقة طلبت فيها الجواب على ستة اسئلة عن أغاني جو واختيار زوج العيون الذي له من دزينة ازواج عيون. والمدهش في الأمر صعوبته. فانا مثلاً عانيت مشقة قصوى في مثل هذا الاختيار.
وضحكت، فيما اخذ السيد جونز يحدق اليها مبهوتاً، وقالت له:
- الجائزة الأولى كانت سهرة مع جو، وفازت بها ابنتك!
فصاحت كوينسي عفو الخاطر:
- هذا غير ممكن!
فالتفتت كارمن اليها مبتسمة وقالت:
- نعم، كان ممكناً، أؤكد لك... ومن حقك ان تطيري من شدة الفرح.

واصرت كوينسي على عدم التصديق، فضحكت كارمن قائلة لها:

ـ صدقيني يا كوينسي انك فزت بهذه الجائزة...

وكانت كارمن تتصف بعينين زرقاوين حادتين، لهما جفون ملونة بفضة مائلة الى الزرقة ورموش مستعارة، مما جعلها تبدو كالدمية، خصوصاً بشعرها الذهبي، المجعد حول وجهها. غير ان صلابة ملامحها، حين لا تكون مبتسمة، يتعارض مع ما كانت تبدو عليه من أنوثة فائقة.

وسألها السيد جونز قائلاً:

ـ فهمت من كلامك ان كوينسي اشتركت في هذه المسابقة وفازت...

ونظر الى ابنته كأنه يراها لأول مرة في حياته، وعلى وجهه امارات القرف. كان لا يحب الاغاني الشعبية، فلم يرق له ان تكون ابنته اشتركت في مسابقة جائزتها الأولى سهرة برفقة أحد مشاهير المغنين الشعبيين!

وكان السيد جونز في الخمسين من عمره، ويتصف بالحيوية والنشاط. وكانت بشرته على شيء من السمرة، لقضائه سنوات طويلة في العمل في الهواء الطلق على مدار الفصول. وكان رجلاً حلو المعشر ويحب النكتة، مما ساعده على تحمّل مشاق مهنته كطبيب بيطري. وكان محبوباً من مرضاه وزبائنه على حد سواء. ولم يكن يعيبه شيء سوى غليونه الذي كان يدخنه في السرّ.

وقالت له كارمن:

ـ كوينسي فتاة محظوظة... اشترك في المسابقة الآلاف، مما لم نكن نتوقعه بهذا المقدار، ووصلنا النهارات بالليالي لنتمكن مع موظفين اضافيين من فتح الظروف البريدية والنظر في الأجوبة.

وكان السيد جونز لا يزال متجهاً بنظره الى كوينسي، فقال لها:

ـ بربك يا كوينسي، ماذا خطر لك حتى اشتركت في

مسابقة كهذه؟

فاجابته بما يشبه الزعيق:

- ولكني لم اشترك في هذه المسابقة على الاطلاق!

وهنا تقدم جو الدونيز نحوها سائلاً بعصبية ظاهرة:

- ماذا تقولين؟

فسرت في مفاصلها رعشة بتأثير صوته الأجش المشوب بنبرة أميركية عريقة، وارتبكت وهي تجيب:

- نعم، لم اشترك في المسابقة.

قالت ذلك وهي تتأمل وجهه وتعجب لما هو عليه من متناقضات. كانت عظامه الصلبة القاسية، وجبينه الواسع، وانفه الشامخ، في تناقض مع الجمال الساحر الذي يفيض من محاجر عينيه العميقتين الغامضتين.

وخاطبها هذه المرة بهدوء قائلاً:

- ألم تشتركي في المسابقة؟

- كلا!

وقطبت كارمن حاجبيها وقالت لها:

- ماذا تعنين؟ معي جوابك على المسابقة هنا في حقيبتي.

وفتحت حقيبتها وأخرجت ورقة مطوية نزعت من المجلة ولوحت بها في وجه كوينسي قائلة:

- انت كوينسي جونز، أليس كذلك؟

- نعم... ولكن!

- انظري، أليس هذا عنوانك؟

وتناولت كوينسي الورقة منها ونظرت اليها، فرأت اسمها وعنوانها وقالت متعجبة:

- أنا لا أفهم هذا...

فأجابتها كارمن بغيظ:

- ليس عندنا وقت نضيعه في مثل هذه الألاعيب... أنا متأكدة

ان والديك لا يعارضون فوزك بالجائزة، اذا كان هذا ما يقلقك . . .
ولا ضرورة لأن تدعي انك لم تشتركي . . .

فقالت كوينسي:

ـ أنا لا أدعي شيئاً من هذا القبيل . . .

على ان نظرها وقع، في هذه الاثناء، على أسفل الورقة، فصرخت قائلة:

ـ انه بوبي!

وكان بوبي واقفاً في أعلى السلم، فما ان صرخت باسمه حتى فر هارباً. غير ان والدها الذي كان الى جانبها نظر، هو الآخر، الى الورقة وعرف ان الخط كان خط بوبي.

فصاح به قائلاً:

ـ تعال، انزل الى هنا.

وساد الصمت، ثم لم يلبث بوبي ان خرج مقبلاً نحو والده وهو يضطرب خوفاً. ولم يكد يقف امامه، حتى القى يده على كتفه بعنف قائلاً له:

ـ هل انت هو الذي كتب بخطه الجواب في هذه المسابقة؟

فلم يتفوه بوبي بكلمة، بل اشار برأسه علامة الايجاب. وكان بوبي في الخامسة عشرة، ويسكن في غرفة بالمنزل لقبتها والدته بالزريبة، لما كانت عليه من فوضى. فالكتب والمجلات كانت في كل مكان من الغرفة. وكان ترتيبها، هي والأشياء الأخرى، لا يدوم أكثر من يوم او يومين، ثم تعود بعد ذلك الى ما كانت عليه من فوضى.

وسأله جو الدونيز قائلاً:

ـ لماذا وضعت اسم اختك، لا اسمك انت؟

فاجابه متلعثماً:

ـ كانت المسابقة للبنات، أليس كذلك؟

فصاحت به كارمن:

- اذن، لماذا اشتركت فيها؟
وانضم اليها السيد جونز قائلاً:
- نعم، لماذا اشتركت؟
وحار بوبي بماذا يجيب. وأخذ جو الدونيز يتأمله بامعان، ثم خطر له ان يقول:
- كنت تطمح في الفوز بأحد الترنزيستورات، أليس كذلك؟
فاشرق وجه بوبي قليلاً وهو يجيب:
- نعم، هذا صحيح!
ولما استفهم السيد جونز عن هذا الأمر، أجابه جو:
- كان بين الجوائز عدد من الترنزيستورات الممتازة...
وصاحت كوينسي بأخيها:
- سترى ماذا سأفعل بك!
فقال لها جو:
- هذا لا يحل المشكلة.
فأجابته قائلة:
- صحيح، ولكنه يستحق العقاب...
وعلا وجه كارمن الاحمرار، ولكن لا من الارتباك والاحراج، بل من الغيظ. فقالت:
- المهم اننا قطعنا كل هذه المسافة، من لندن، ونظمنا كل تلك الدعاية، وما الى ذلك من مشقات، لنبدأ من جديد مع فائزة أخرى؟
وكانت تتكلم كما لو كانت تحدث نفسها. وادركت كوينسي من كلامها ونبرة صوتها الغاضب ان كارمن لم تكن من النساء اللواتي يطيب العمل معهن، خصوصاً حين ارتكاب خطأ ما.
والتفت الجميع اليها حائرين متسائلين ماذا سيحدث بعد الآن. وتراجعت كوينسي الى الوراء، كأنما خشيت ان تتلقى صفعة من كارمن. وفيما هي تتراجع دعست على رجل برندن، فاعتذرت وهي تشعر بالارتياح لأنه كان هناك.

وقالت كارمن:

ـ والآن، ما العمل؟

ونظرت الى رجل أنيق الهندام كان واقفاً بين الحاضرين، ولكنه لم يتفوه بكلمة حتى الآن، بل كان يراقب الجميع متأملاً فيهم. وكان له وجه تصعب قراءة ملامحه، ونظرة هادئة، وابتسامة كابتسامة كارمن تظهر وتختفي كبعض اللافتات المضيئة. وكان شعره باهت اللون، وذقنه حليقة بعناية، وهندامه مألوفاً لا يكشف شيئاً عن حقيقة شخصه، بل يلائم كل مكانٍ وزمان.

وتطلع الى كوينسي قائلاً:

ـ أظن انه من الممكن ايجاد حل لهذه المشكلة البسيطة...

قال ذلك ومد يده الى السيد جونز قائلاً:

ـ أنا بيلي غريفيت، مدير أعمال جو الدونيز، يا سيد جونز!

ومد السيد جونز يده مصافحاً وقال:

ـ كيف حالك؟

ـ يسرني ان اتعرف اليك... والآن، لماذا لا نتحدث، أنا وأنت، حديث رجل الى رجل؟

ثم ألقى يده على ذراع السيد جونز وخرج به من غرفة الجلوس، قبل ان يدرك السيد جونز ماذا كان يجري. وتبعتهما السيدة جونز وكارمن ليستر، وحين حاولت كوينسي اللحاق بهما وجدت ان الباب أغلق في وجهها. فارتبكت وهمّت بفتحه، فاعترضها جو الدونيز بسرعة وقال مبتسماً:

ـ ما رأيك بفنجان قهوة؟

ـ ولكني أود ان أعلم ماذا يجري خلف هذا الباب المغلق.

وكانت كوينسي متأكدة من ان كارمن هي التي اغلقت الباب في وجهها لتمنعها من الدخول. فهل هنالك، يا ترى، مؤامرة تحاك لها؟

ورن جرس التلفون، فقال برندن:

- سأرد على هذه المكالمة من غرفة العمليات.

ثم اتجه نحو الباب الذي يؤدي الى تلك الغرفة التي كانت قائمة الى جانب المنزل. وهناك رفع السماعة، فيما قال بوبي لجو الدونيز بعد ان كان يمعن النظر اليه:

- انت تبدو مثل صورك تماماً!

- هل هذا مديح أم هجاء؟

- لا ادري، ولكني اخشى الآن ان لا احظى بالترنزيستور!

- لو كنت في مكانك لتركت هذا الموضوع.

- ولكني فزت بالجائزة...

وحين رأى ان كلامه هذا لم يرق لجو، استدرك قائلاً:

- حسناً، يا جو... هل توقع بامضائك على اسطوانة لك في حوزتي، هناك في غرفتي؟

فتأمله جو بامعان قائلاً:

- ولكنك ستبيعها بالمزاد للبنات في مدرستك، أليس كذلك؟

- أنا؟

- نعم، انت. لأنك، على ما أرى، شاب بارع وذكي!

فسر بوبي بهذا المديح وقال:

- آه لو تعلم كم تعشقك الفتيات، وكيف يترنحن طرباً حين يسمعن اغانيك... يا لهن من فتيات مجنونات!

فابتسم جو قائلاً:

- كيف يمكنني ان ارفض مثل هذا الثناء!

وابتسم بوبي قائلاً:

- اذن، ستوقع على اسطوانتك؟

- نعم، ولماذا لا؟

- شكراً.

وصعد السلم مسرعاً الى غرفته، فيما بقيت كوينسي وجو الدونيز وحدهما وجهاً الى وجه. واخذت تقترب شيئاً فشيئاً نحو باب الغرفة،

فسألها جو:
- أين انت ذاهبة؟
فتوقفت مضطربة وحدقت اليه بذعر، تحت تأثير صوته المثير الذي اشتهر به، ثم قالت:
- أريد ان اعرف ماذا يجري هناك.
- تعرفين حين يجيىء الوقت. والآن، ماذا عن ذلك الفنجان من القهوة الذي طلبته؟
- لماذا لا تتركني وشأني؟
وما كادت تنهي كلامها حتى شعرت بقبضة يده على ذراعها. وسار بها الى المطبخ بخطوات واثقة، بحيث ادركت ان لا فائدة من المقاومة. على انها رأت ان تبذل جهدها لكي لا يثور غضبها، فهي ورثت سرعة الغضب عن جدتها، بخلاف أخيها بوبي واختها ليلي. وغالباً ما كانت تنجح في كبح جماح غضبها، وآخر مرة فشلت في ذلك كان عندما شاهدت جماعة من الصبية يرمون كلباً شارداً بالحجارة.
وفي المطبخ أفلتها جو، فبدأت تهيىء القهوة بهدوء، متجاهلة وجوده.
فسألها قائلاً:
- هل كوينسي هو اسمك الحقيقي؟
ولما اجابت بالايجاب، قال لها:
- وماذا تفعلين في الحياة... أعني هل تشغلين أية وظيفة؟
- اشتغل مع أبي في عيادته، فاستقبل-الزبائن وأطبع على الآلة الكاتبة.
- والدك طبيب بيطري، أليس كذلك؟
- نعم.
- كنت وأنا فتى أحلم بأن أصير طبيباً بيطرياً، لأني كنت مولعاً بالخيل. واليوم عندي اسطبل يغص بالخيل، على الرغم من ان لا وقت لي لركوبها.

وقالت كوينسي:
- كنت اركب الخيل مراراً حين كنت في المدرسة.
فابتسم قائلاً:
- وماذا عن هذه الأيام، هل تركبين الخيل؟ وكيف تقضين أوقات فراغك يا كوينسي؟

وفوجئت كوينسي بلهجته الحميمة، كما لو انه كان يغازلها. وأدركت ان ذلك أمر طبيعي، لما كانت عليه من جمال يجذب الرجال. كانت هيفاء القامة، ذات شعر كستنائي يتدلى على أعلى كتفيها. وحين كانت تبتسم، لا يتمالك الآخرون من الابتسام هم أيضاً. وكان وجهها مشرقاً يشع بالحيوية، وعيناها خضراوين تفيض منهما الرقة والحنان، وبشرتها ناعمة شفافة تكاد تجرحها النظرات.

وقالت له متجاهلة سؤاله:
- آسفة لأن بوبي استخدم اسمي في تلك المسابقة، يا سيد الدونيز، مما كبّدك انت ورجال الدعاية مشقة كنتم بغنى عنها. ومع ذلك لا يمكنني ان ألعب هذا الدور، دور الفائزة، خصوصاً وانني لم اكن يوماً من المولعات بك وبأغانيك... وليس من العدل ان احرم احداهن تحقيق حلمها بقضاء السهرة معك!
فسألها قائلاً:
- ولماذا انت منزعجة من هذا كله؟
- منزعجة؟
- نعم. ففي عينيك الخضراوين بريق مجنون...
- أهكذا ترى؟
فقال ضاحكاً:
- لكنه جنون رائع يشبه الغضب.
- وهل تستغرب ذلك بعد هذا الذي عانيته منك ومن جماعتك؟
فتذرع جو بالصبر وقال:
- ما لي ولتلك المسابقة! فهي ليست فكرتي، بل فكرة كارمن وبيلي

كتمهيد دعائي لجولتي في انكلترا. ولم أعرف عنها الا عند وصولي الى هنا منذ يومين، فاضطررت الى مسايرتها. وعلى كل حال، هذا من اختصاص بيلي، وهو يبيع جدته ليحصل على دعاية مجانية...

ووافقته كوينسي على كلامه وهي تفكر في وجه بيلي غريفيت الشاحب الغامض.

وقال لها:

ـ اذن، انت لست من المعجبات باغانيٍّ..

ـ لا وقت لي لسماع الأغاني.

قالت ذلك متجاهلة الاسطوانات التي تحتفظ بها في غرفتها، والتي دأبت على سماعها طوال الأيام الأخيرة.

واستحضر جو كل ما لديه من خفة الظل وقال:

ـ وحين يكون لديك الوقت الكافي تتسمعين على الموسيقى الكلاسيكية، أليس كذلك؟

وصمت قليلاً، ثم تابع قائلاً:

ـ لا شك ان الموسيقى الكلاسيكية شيء مهم... بيتهوفن مثلاً أو موزارت؟

فأجابته بعصبية ظاهرة:

ـ لا تتشاطر علي. أنا أسمع كل أنواع الموسيقى، شرط ان لا تجرح اذني...

ـ وأنغامي، هل تجرح أذنيك؟

ـ طبعاً لا.

وكان جو يعرف ذلك، وهذا ما أثارها، فبادرته الى القول:

ـ أنت...

وتوقفت عن الكلام فقال لها:

ـ تابعي كلامك يا آنسة جونز... فانا بشوق شديد الى سماع رأيك؟

ـ انت لا يهمك رأيي. وعلى كل حال، فهو لا قيمة له.

وبخصوص جولتك المقبلة، الا يجب ان تهيء لها؟
وأدرك جو أنها غيرت الموضوع وألقت الطابة في ملعبه، فأجابها والابتسامة تلوح على محياه:
- كل شيء مهيأ. وبعد جولة في المدن الانكليزية تستغرق نحو أسبوع، أعود الى لندن لاحياء حفلة كبرى.
- والتذاكر كلها مباعة سلفاً، أليس كذلك؟
وقبل ان يجيبها على سؤالها بالايجاب، دخل بوبي المطبخ كالعاصفة، يحمل تحت ابطه اسطوانة قدمها الى جو قائلاً:
- أرجوك يا جو ان تكتب كلمة، لا ان توقعها فقط!
ونظرت كوينسي الى الاسطوانة بغضب وصاحت ببوبي قائلة:
- كم مرة نبهتك ان لا تدخل الى غرفتي وتعبث بأشيائي؟
وفي الحال ادركت انها تسرعت في كلامها، مما فضح ادعاءها الكاذب بأن لا وقت لها لسماع الأغاني.
فقال لها جو بهدوء:
- هذه الأسطوانة لك، أليس كذلك؟
فأجابه بوبي على سؤاله بالايجاب، فيما علا الاحمرار وجنتي كوينسي. وتابع بوبي كلامه قائلاً:
- منذ جاءت بها وهي تكرر سماعها حتى كادت تنفخت آذاننا...
وتمنت كوينسي، من شدة الحياء، لو ان الأرض تنشق وتبتلعها. ونظرت الى أخيها نظرة انتقام، فتراجع الى الوراء محتمياً بجو وقائلاً له:
- ألا توقع عليها؟ أرجوك.
- بكل سرور.
وفيما هما يراقبانه، أخذ القلم وكتب سطراً على غلاف الاسطوانة، ثم وقعه بامضائه واعاده الى بوبي، فشكره بحماسة وخرج مسرعاً. وتمنت كوينسي لو انها تقرأ ما كتبه جو، ولكنها

تمسكت بالصبر الى ان يخلو المكان من زائريها، فتتمكن عندئذ من تأديب بوبي وانتزاع الاسطوانة منه.

وكانت القهوة بدأت تغلي على النار فحملتها مع الفنجانين على طبق الى غرفة الجلوس يتبعها جو. وشعرت بالرغبة في ان يغادر هو وجماعته عالمها الصغير الذي لا مكان لهم فيه، كما ان لا مكان لها في عالمهم الكبير.

ونهض بيلي غريفيت لاستقبالها عند دخولها. ونظر الى كوينسي مبتسماً، فيما كان يتلقى نظرة من جو وهو يسأله قائلاً:

ـ كيف تجري الأمور؟

فأجابه بيلي:

ـ شرحت للسيد والسيدة جونز كم هو صعب ان نغير الدعاية الآن، فتفهما ذلك كل التفهم.

وحدقت اليه كوينسي ولم يرق لها ما رأته. كان هادىء الاعصاب، غير انها شعرت ان وراء هذا الهدوء الزائف والابتسامة المصطنعة مزاجاً صلباً كالفولاذ، لكنه يلوي ويلين حسب الضرورة. وخيل الى كوينسي ان حسن أدبه لم يكن الا سطحياً، وان عزمه على نيل ما يريد لا يقف في وجهه شيء.

وجلس بيلي في كرسيه واستند الى الوراء، ثم مال نحو كوينسي في المقعد المجاور وقال لها بابتسام:

ـ بقي علينا، يا كوينسي، ان نضع أنفسنا تحت رحمتك. لا شك اننا تسرعنا، اذ كان يجب ان نتصل بك قبل ان نذيع اسمك على وسائل الاعلام، ولكن كيف كان لنا ان نعرف ان شيئاً كهذا سيحصل؟ جرى السحب بعد ظهر هذا اليوم في لندن، وهو نفسه سحب اسمك من بين كل جميع الاسماء، وكان رجال الصحافة حاضرين. وبدا للجميع وجاهة المجيء الى هنا في الحال لكي يصورك المصورون حين تتلقين نبأ فوزك بالجائزة.

وتوقف بيلي عن الكلام قليلاً، ثم عاد الى الابتسام مجدداً

وهو يقول:

- لم يخطر ببال أحد ان لا تكوني انت التي اشتركت في المسابقة. واسمحي لي، يا كوينسي، ان اعرب عن رأي الجميع في ما أنت عليه من رقة وجاذبية وجمال، حتى أننا حين رأينا صورتك ابتهجنا وهتفنا من أعماقنا: هذه هي الفتاة المنشودة!

- صورتي؟

صاحت كوينسي وهي تقطب حاجبيها. ووضع جو يده في جيب سترته الجلدية وأخرج صورة صغيرة لها. فلما نظرت اليها صرخت قائلة بامتعاض:

- هذا بوبي أيضاً... هو الذي أرسل هذه الصورة القبيحة!

وكانت الصورة قديمة تمثلها في سروال من الجينز وقميص من الكتان، فيما الكلاب تحيط بها، والريح تلاعب شعرها الكستنائي المبعثر حول وجهها.

وتابعت كلامها قائلة:

- هذه صورة قديمة اخذت لي منذ سنوات، بعد ان تركت المدرسة!

وقال لها جو:

- لم تتغيري مطلقاً.

وأما بيلي غريفيت فأكد لها انها نموذج الفتاة التي كانوا يبحثون عنها... الفتاة التي تمثل ملايين المعجبات بجو الدونيز في انحاء العالم كله...

وحاولت كوينسي ان تتكلم، ولكنها لم تستطع من شدة اضطرابها وغضبها، فقال بيلي غريفيت مخاطباً جو:

- أجلس بجانب كوينسي يا جو... أنا متأكد انها متشوقة الى معرفة ماذا نعد لها.

وفكرت كوينسي، عند سماعها هذا الكلام، انها لم تكن متشوقة الا الى الهرب من هذا كله، والأختباء في غرفة نومها، وأقفال

الباب عليها.

وسكبت السيدة جونز القهوة ووزعت الفناجين. وجلس جو ومال بنظره الى كوينسي قائلاً لها:

ـ الخطة هي ان تأتي الى لندن، وهناك تصلحين شعرك عند المزين وتشترين ثوب سهرة...

فقاطعته كارمن بقولها:

ـ من أشهر الأزياء العصرية...

وأضاف بيلي غريفيت قوله:

ـ وتذهبين الى أفخر صالونات التجميل...

وقالت كارمن:

ـ وستنزلين في ضيافتي، فعندي في الشقة غرفة خالية. وبذلك لا ينشغل بال والديك عليك!

فاجابتها كوينسي بنبرة عصبية:

ـ لست بحاجة الى من يحرسني... كم تظنين ان لي من العمر؟ أنا لم أعد في سن المراهقة، كما يظهر في تلك الصورة الشمسية القديمة!

وقال بيلي غريفيت:

ـ هل انت في العشرين من العمر؟

ـ كلا، في الثانية والعشرين...

فالتفت بيلي غريفيت الى السيدة جونز قائلاً:

ـ ولكنها تبدو أصغر سناً...

وأخذ الجميع يتأملون كوينسي، فيما تابع بيلي غريفيت كلامه متجاهلاً كوينسي ومخاطباً والدتها قائلاً:

ـ كنا نريد ان نجد فتاة عادية تكون نموذجاً للمعجبات بجو، وتنتمي الى عائلة سعيدة كهذه العائلة. ولو بحثنا سنوات لما وجدنا فتاة أقرب الى الكمال من كوينسي!

فأجابته كوينسي قائلة:

- والآن، عليك ان تبحث سنوات عن تلك الفتاة... لأني لن أوافق على لعب هذا الدور المزيف... فكيف لي ان أظهر بمظهر فتاة تذوب عشقاً وغراماً كلما نظرت اليه؟

وقال لها جو بلهجة المسرور من كلامها:

- لا ينشغل بالك. ردة فعلك الاولى هو كل ما يطلبه بيلي منك.

وتساءلت كوينسي كيف كانت ردة فعلها تلك حين فوجئت به واقفاً على عتبة الباب الخارجي.

وصاح بيلي غريفيت فرحاً:

- أصبت يا جو... ذلك العناق كان رائعاً حقاً.

واستولى الذعر على كوينسي، ولكنها حاولت السيطرة عليه. غداً ستكون صورتها، وهي بين ذراعيه، منشورة في جميع الصحف.

وقال لها جو:

- تبدين في تلك الصورة كسهم ناري على أهبة الانفجار!

فأجابته وعيناها الخضراوان تقدحان شرراً:

- أظن ان هذا الذي يجري لمما يثير الاشمئزاز... لن أشارك فيه على الاطلاق ولا تستطيع ان تجبرني على ذلك.

وقالت لها والدتها:

- بوبي سبب هذه المشكلة يا كوينسي. فلو لم يستخدم اسمك في قسيمة الاشتراك في المسابقة، لما حدث كل ذلك.

فلم يخفف هذا الكلام من نقمة كوينسي، فقالت:

- كان عليهم التأكد قبل الاعلان عن اسمي!

وقال لها جو:

- مع الاعتراف بصحة ذلك، فالوقت الآن لا يسمح بالندم على ما فات، ويجب ان نستمر في اللعبة الى نهايتها.

- يجب عليك انت ربما... ولكن ليس علي!

وهنا قالت كارمن ليستر:

- تصوري لو أذعنا على العالم خبر المشكلة التي وقعنا فيها، ألا

نصبح أضحوكة وموضوع هزء وسخرية؟ ما فات فات، وكل ما نستطيع عمله هو ان نستمر في اللعبة، كما قال جو، كأن شيئاً لم يكن. أخوك بوبي، على حد قول والدتك، هو الذي ادخلنا في هذا المأزق، وهكذا أصبح لنا عليك دين. وما هي المشكلة على كل حال؟ كل ما في الأمر انك ستنالين رحلة الى لندن، وستصففين شعرك وتتجملين عند أشهر بيوتات التزيين والتجميل، وستختارين ثوباً جديداً للسهرة من أحدث الأزياء واشهرها، وستسهرين في أفخم المطاعم مع جو الدونيز... معظم فتيات العالم يدفعن حياتهن ثمناً لهذا كله!

فردت عليها كوينسي بلهجة غاضبة:

ـ أنا لست واحدة من هؤلاء...

فحدجتها كارمن بنظرة عاتبة من عينيها الزرقاوين، وقال بيلي غريفيت فجأة:

ـ علينا ان نذهب.

قال ذلك والتفت الى السيد والسيدة جونز مبتسماً ومستأذناً بالانصراف شاكراً.

ولم تصدق كارمن هذا التصرف المفاجىء من مدير الاعمال، فيما نهض الجميع واقفين. ولاحظ بيلي عليها ترددها في قبول تصرفه هذا الذي يقر بالهزيمة، وهي ليست من اللواتي يقبلن الهزيمة على الاطلاق، فوضع يده تحت ذراعها وقال للسيد جونز:

ـ ما أجمل هذه الازهار والورود الربيعية يا سيد جونز... هل تسمح لي بالقاء نظرة عليها عن كثب؟

قال ذلك وسار بكارمن نحو الباب يتبعهما السيد جونز معتذراً:

ـ بكل سرور، ولكن حين تتاح لي الفرصة. وعلى كل حال، فالآن خيم الظلام.

وقالت السيدة جونز وهي تشيعهما الى خارج الدار:

ـ ما أجمل اريج الاقحوان في الليل!

والتفتت كارمن الى الوراء، مقطبة الجبين، فهمس بيلي غريفيت في اذنها كلاماً لم تستطع كوينسي ان تسمعه. وبعد ان اغلق الباب، نظرت كوينسي الى جو الدونيز تساورها الشكوك. لماذا تركاه وذهبا من دونه؟ لا ريب ان الأمر كان متعمّداً.

ومال جو اليها وقابلها وجهاً الى وجه قائلاً:

- دعيني أضع النقاط على الحروف يا كوينسي. نحن بحاجة الى معونتك. بيلي أطلق دعاية واسعة النطاق عن كونك من أشد المعجبات بي، ولم يعد من اللائق ان نتراجع عن ذلك الآن. فهل تتكرمين علينا وتسايريننا في هذا الامر، لئلا نقع في مأزق؟

فحدقت اليه كوينسي وقالت بتردد:

- لا أعرف اذا كان في مقدوري ان أقوم بالمهمة المطلوبة مني، فهي تبدو لي مريعة ولا تلائم طبعي.

- ستتغلبين على هذه الصعوبة ولا شك. امامك تسعة أيام من المرح والبهجة، وبعدها لا بد ان ينساك الجمهور لأن ذاكرته قصيرة. وعلى كل حال، نكون مقدرين لك فضلك علينا اذا قبلت القيام بهذه المهمة.

وتوقف عن الكلام قليلاً، ثم تابع قائلاً وهو عابس الوجه:

- سنفترض ان بوبي سينال جهاز الترنزستور، هل يقنعك هذا؟ فهو أنما دخل المسابقة للحصول عليه...

فاتهمته كوينسي بالرشوة والفساد، فأجابها مبتسماً:

- الرشوة نعم، ولكن ليس الفساد!

فابتسمت كوينسي وهي تمد يدها قائلة:

- اتفقنا!

فصافحها وقال:

- سأذهب الآن لأبشر بيلي بالخبر، فيفرح وينشرح صدره.

وقالت كوينسي:

- تركك هنا عن عمد، أليس كذلك؟

ـ هذا واضح. . . فله ثقة بقدرتي على اقناع الجنس اللطيف.

قال ذلك وانصرف مودعاً. ولم تلبث كوينسي ان سمعت صوت هدير محرك سيارته يعكر هناء ذلك الليل.

٢ ـ كانت دائماً تعتقد ان الحب لا يأتي تدريجاً، بل ينقض كالصاعقة. ولم تجد في هذا الرجل سوى جاذبيته التي جعلتها الدعاية تسيطر على عقول الجماهير. ولكن كيف هو في الواقع؟

تأخر والدا كوينسي في الذهاب الى تناول طعام العشاء، بحيث كان على كوينسي ان تتصل بالمطعم منذرة بهذا التأخير وطالبة تمديد الحجز ساعة كاملة. ثم دخلت الى المطبخ لتهيئة طعام العشاء لها ولبوبي. وشعرت ان شهيتها للمعكرونة فارقتها، فحارت وهي تفتح باب الثلاجة ماذا عساها ان تهيء. وبعد قليل من التفكير، قر رأيها على بيض مقلي بالجبنة.

وفيما هي تهيئه، اطل برندن من الباب، فقالت له:

ـ اهلاً، هل جئت لتناول المعكرونة؟ ولكن هل تمانع اذا استبدلتها ببيض مقلي بالجبنة؟

فأجابها وهو يقطب جبينه:

ـ شكراً، لا مانع عندي على الاطلاق.

وتابعت كوينسي عملها، فيما استند برندن الى الحائط يراقبها، ثم فاجأها بالقول:

ـ انا لا اظن انها فكرة حسنة.

ـ صحيح؟ يؤسفني ذلك. هل تفضل الشورباء؟

ـ انا لا اعني الطعام، بل اعني ذهابك الى لندن!

فالتفتت اليه بسرعة قائلة، وقد احمرت وجنتاها:

ـ اهذا ما تعنيه؟

ـ نعم، لأني اعتقد انك بذلك تخرجين عن طبعك. فأنت لست هذا النوع من الفتيات.

فاستاءت كوينسي من كلامه وقالت غاضبة:

ـ اي نوع من الفتيات هذا الذي تقصده؟ كل ما في الأمر انني سأخرج برفقة جو الدونيز.

قالت ذلك وشعرت انها قد تكون مخطئة في اعتبار ذلك بمثل تلك البساطة.

وأدرك برندن ترددها وحيرتها، فقال:

ـ ارى انها بدأت تؤثر فيك منذ الآن...

ـ ماذا تعني؟

ـ اعني الجائزة والعناق!

فأحنت كوينسي رأسها، وعلا الاحمرار وجهها، وهي منصرفة الى تهيئة الطعام، فيما تابع برندن كلامه قائلاً:

ـ لا اعتقد انك تريدين التورط مع امثاله من الناس. الا تدركين اي مسلك في الحياة هو مسلكه؟

وكانت كوينسي تدرك تماماً كيف يعيش مغنٍ شهير. فهي قرأت في الصحف والمجلات عن فتيات ارتمين في احضان من يعجبن به من النجوم الساطعة في عالم الغناء، ولكنها لم تكن تنوي ان تفعل ذلك مع جو الدونيز. على ان تحذير برندن لم يرق لها، فتجاهلته واستمرت

في اعداد الطعام على المائدة.

وقال لها برندن:

- اسمعي يا كوينسي... انت فتاة بريئة، اتدركين ذلك؟

فصاحت في وجهه:

- كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام؟ هل تحسبني في العاشرة من العمر؟

- لا اقصد اهانتك يا كوينسي. فماذا بك؟ كل ما اريده هو حمايتك... فأنت ربما لا تدركين ما يمكن ان يحدث لك... ما قد تقعين فيه!

فلزمت كوينسي الصمت وهي تقوم بعملها، فيما تابع برندن كلامه قائلاً:

- انه رجل واسع الخبرة... وما انت الا فتاة اخرى في نظره. يكفي ان تنظري اليه لتري ما انطوى عليه من خلق... قد يسيء اليك. وأنا لا اريد ذلك!

وتطلعت اليه مبتسمة، فهي لم تشك مطلقاً بحسن نيته ورغبته في رد الأذى عنها. ولكن كيف استطاع ان يدرك انه جرح كبرياءها حين اشار الى كونها فتاة بريئة؟ فهي نفسها لم تدرك ذلك الا الليلة، حين قفز الدونيز وحاشيته الى عالمها الهادىء المطمئن. وكل شيء حدث أو قاله بيلي غريفيت وكارمن ليستر عنها اعطاها صورة جديدة عن شخصيتها. فهم رأوها اشبه بفأرة ريفية، واسعة العينين، ساذجة، تعشقت جو الدونيز عن بعد، ولا شك ان جو الدونيز نفسه رآها هكذا.

وشعرت ان ادراكها هذا كان مثل شوكة مسمومة تحت جلدها. فهي لا تريد ان ينظر اليها جو الدونيز نظرة الاستخفاف، ولا ان يكدرها ويعذبها، لأنه يحسب ان قلة خبرتها في الحياة امر يستدعي الضحك والهزء.

وقالت لبرندن:

ـ استطيع ان اعتني بنفسي ، فلا تقلق علي . وأنا ذاهبة الى لندن لا لشيء الا لأنهم وعدوا بوبي باعطائه ترنزيستور كهدية في عيد ميلاده . . وتأكد ان لا خطر علي من جو الدونيز . . .

ولم يظهر على برندن انه اقتنع بكلامها . فحدق الى وجهها المورد وأمسكها بكتفيها وعانقها . فتراجعت مندهشة ونظرت اليه بعينين جاحظتين وهو يتمتم قائلاً :

ـ لا تدعيهم يغيرونك . . . احبك كما انت . والآن هل انادي بوبي؟

ولم تجد كوينسي ما تقوله ، مع ان برندن عانقها من قبل . كانا يرقصان من حين الى آخر ، غير انها لم تكن تشعر نحوه بأية عاطفة خاصة ، بل كان في نظرها صديقاً حميماً ولا يمكن ان تقع في غرامه . كانت دائماً تعتقد ان الحب لا يأتي تدريجاً ، بل ينقض انقضاضاً كالصاعقة ، فيثير الدم حاراً في العروق . ولكنها اليوم اخذت تحدث نفسها ان هذا الاعتقاد لا يعدو كونه نظرة رومانسية . فالحب ، على العموم ، يأتي على نحو اكثر هدوءاً . وكيف لا ، والمحب انما يختار شريك حياة له ، ولا يجوز ان يكون هذا الاختيار نتيجة عاطفة عابرة .

وكان برندن هادئاً في اثناء تناول طعامه . وأما بوبي فلم يتوقف عن الكلام ، وقد وجد مادة خصبة في ما حدث ذلك النهار .

وقال :

ـ كم انا مشتاق الى الذهاب غداً الى المدرسة . . . آه ، وكم سيحسدني رفاقي على التوقيع الذي حصلت عليه من جو الدونيز!

فبادرته كوينسي بالقول :

ـ يجب ان تعيد الي اسطوانتي . . . ولا اريد ان ابادلها بأي شيء آخر . . اياك ان تحاول ، فالاسطوانة لي ، واحذرك من الدخول الى غرفتي والعبث بأشيائي بعد الآن .

ـ ومن دخل الى غرفتي اليوم؟ اليس انت؟

ـ انا دخلتها لأرتبها لك بالنيابة عن امي . . . وأنا استغرب كيف

تطيق ان تسكن فيها وهي على هذه الحال من الفوضى . . .

ـ على الأقل لا احاول ان اخبىء فيها شيئاً . . . سمعتك تكذبين على جو الدونيز بقولك انك لا تحبين اغانيه، بينما انت في الواقع تجلسين الساعات الطوال تتسمعين الى اسطواناته!

وثارت ثائرة كوينسي عليه، غير انها تذكرت وجود برندن وشعرت انه يتأملها ويراقب حركاتها وسكناتها، فاكتفت بالنظر الى بوبي نظرة لوم وتأنيب.

وقالت له:

ـ حان الوقت لذهاب الصغار امثالك الى النوم، اليس كذلك؟

فحدق اليها، ثم نهض وهو يقول لها:

ـ كنت ذاهباً، على كل حال!

ولم يكن الا بعد ان اوت الى الفراش، هي نفسها، بعد بضع ساعات، ان خطر لها ان بوبي نجح في تجنب اعادة اسطوانتها اليها. ولذلك كان عليها ان تستعيدها منه في الصباح، قبل ذهابه الى المدرسة.

وراحت تفكر، وهي تتقلب في الفراش، ماذا كتب جو الدونيز على غلاف الاسطوانة؟

وتذكرت كيف كانت رموش عينيه ترف على وجنتيه وهو يكتب، وكيف لاحت ابتسامة خبيثة على شفتيه . . . فماذا كان يا ترى في ذهنه؟

وكان عليها ان تعترف بالحقيقة وهي انها لم تجد في هذا الرجل أي شيء ذي قيمة سوى جاذبيته التي جعلتها الدعاية تسيطر على عقول الجماهير . . . ولكن كيف هو في الواقع، بمعزل عن هذه الدعاية؟ ذلك ما اخذ يثير اهتمامها منذ الآن.

ووجدت صعوبة في الاستسلام الى النوم تلك الليلة. وحين نهضت في الصباح، كان شعاع الشمس يتراقص على سقف غرفتها، وزغردة العصافير تتردد في الحديقة، وظلال اجنحتها تخفق بين الحين

والآخر على قضبان النافذة.

وشعرت بما يشبه الدوار وهي تتذكر ما رأته من احلام غريبة غامضة، فهل يكون ان جو الدونيز دخل حياتها منذ تلك الليلة؟

ودخلت عليها والدتها وقالت:

ـ الم تستيقظي بعد؟ عليك ان تكوني على اتم الاستعداد في التاسعة، فهل نسيت؟

فأجابتها وهي تنهض جالسة في فراشها:

ـ في التاسعة؟!

ـ نعم، وهم قادمون لاصطحابك معهم. اتريدين ان احزم حقيبتك وأنت تستعدين؟

فتمتمت كوينسي بشيء من الاضطراب قائلة:

ـ لا استطيع الذهاب يا اماه... لا استطيع!

فضحكت السيدة جونز وقالت:

ـ وكيف لا تستطيعين؟ ستقضين وقتاً ممتعاً في لندن. فالسيد غريفيت وعد والدك بأنك ستكونين في امان واطمئنان في ضيافتهم...

وسألتها كوينسي قائلة:

ـ وماذا سيفعل ابي؟ ومن سيقوم بعملي في عيادته؟ انت تعرفين كيف تتكدس الأوراق في مكتبه. ثم من سيرد على التلفون، حين يكون ابي وبرندن غائبين؟

ـ انا سأفعل ذلك. اما كنت افعله قبل ان تحلي مكاني؟

فنظرت كوينسي الى امها ورأت الاشراقة على وجهها من شدة حماستها للحدث الذي فاجأهم لأول مرة في الحياة.

وقالت لها:

ـ ذهب والدك لشراء جميع الصحف الصادرة اليوم... هل يا ترى عادت ليلي الى لندن؟ سأتلفن لها فيما بعد.

وهمت كوينسي بالكلام، ولكن التلفون سبقها الى الرنين في

الطبقة السفلى، فقالت السيدة جونز:
- سأذهب لأرد على هذه المكالمة.
ونهضت كوينسي من فراشها بتردد. ثم لم تلبث والدتها ان عادت لتقول والابتسامة على وجهها:
- هذه ليلي . . . قرأت صحف الصباح ولم تصدق ما رأته عيناها. وهي تدعوك الى الاقامة عندها مدة وجودك في لندن. فهذا افضل من النزول ضيفة على تلك الصحفية، ولك اخت في لندن تعتني بأمرك!
وشعرت كوينسي بالارتياح فقالت:
- يا لها من فكرة رائعة. . .
- هذا ما اراه ايضاً. فاذهبي واستحمي، فيما احزم حقيبتك. فهم سيحضرون بعد نصف ساعة.
وحارت كوينسي في ما ترتديه من ثياب، فملابسها لم تكن تماماً على احدث طراز، لأنها كانت تكثر من ارتداء الجينز والقمصان. وبعد قليل من التردد والتفكير اختارت فستاناً اهدته اليها ليلي في عيدها الفائت. كان غالي الثمن، كجميع الملابس التي تقتنيها ليلي، لأن مهنتها تقتضي شراء احدث الأزياء وأفخرها. وكانت كثيراً ما تعطي بعضها لكوينسي.
وبعد ارتداء الفستان حدقت الى صورتها في المرآة، فظهر عليها الاعجاب بنفسها كفأرة ريفية تتأهب للقيام بمغامرة في المدينة!
ومشطت شعرها حتى اخذ لونه الذهبي يلمع في النور، ثم تجملت وتزينت وزججت حاجبيها في عناية تامة. وخطر لها انها ولا شك ستفوز باعجاب جو الدونيز.
ولكن هذه الخاطرة لم ترق لها، فابتعدت عن المرآة وعيناها تقدحان شرراً من شدة الغضب على نفسها. غير انها لم تلبث ان ادركت ان ما حدث لها في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة يبرر لها جموح مخيلتها الى حد فقدان اتزانها وتعقلها.
وصاحت لها امها من الطبقة السفلى قائلة:

- ها هو هنا يا كوينسي . . . ها هو هنا!

وتساءلت كوينسي من يكون هذا؟ وقفزت من فرط توتر اعصابها حين خطر لها انه قد يكون جو الدونيز. ايعقل انه جاء ليصطحبها بنفسه؟

ونادتها امها قائلة:

- اسرعي يا كوينسي . . . الم تستغدي بعد؟

- بلى، يا اماه. انا قادمة!

ونزلت السلم المؤدي الى الطبقة السفلى، وهي تحمل الصورة معها، وكأنها لا تصدق انها في عالم الواقع.

وكان جو الدونيز واقفاً في البهو مع والدتها. ورفع عينيه وحدق الى كوينسي وهي مقبلة نحوهما. ولو لم تكن اقنعت نفسها انها في حلم، لأدارت ظهرها بسرعة وأركنت الى الفرار خوفاً وحياء. ولكنها تمالكت نفسها وافتعلت ابتسامة ساحرة وهي في طريقها مرفوعة الرأس، ممشوقة القد، وئيدة الخطى.

وقالت السيدة جونز باعتزاز:

- ها هي كوينسي!

فأجاب جو وهو يحملق في كوينسي باعجاب شديد:

- نعم، ها هي كوينسي حقاً.

وخاطبها قائلاً:

- وضعت حقيبتك في السيارة، فهل انت مستعدة؟

وقالت والدتها:

- السيد الدونيز سينقلك بسيارته الى لندن.

فبادرها بالقول:

- جو. كل الناس تناديني جو الا والدتي!

وسألته كوينسي بنبرة جافة لم تتعمدها:

- وماذا تناديك؟

- جوزي . . .

فقالت السيدة جونز:
- هذا اسم اسباني.
- نعم، والدتي اسبانية ووالدي من اصل اسباني، مع انه ولد في كاليفورنيا.
وتوقف عن الكلام قليلاً وهو يبتسم، ثم تابع قائلاً:
- هاجرت عائلتي الى اميركا منذ مئة سنة، وأنا اميركي من رابع جيل.
وسألته السيدة جونز:
- وهل قمت بزيارة لاسبانيا في حياتك؟
- كلا. ولكني سأحاول ان اشاهد ما استطيع منها وأنا هنا في اوروبا. ووعدت والدتي ان ازور اهلها في اسبانيا، وهي كانت هناك في السنة الفائتة...
وسألته كوينسي:
- وهل هي تقيم في كاليفورنيا؟
- نعم. ولعائلتي بساتين برتقال هناك منذ نحو خمسين سنة، حين اشتراها جدي بمال ربحه في رهان. وكان سيخسر هذا المال ايضاً، لو لم تأخذه جدتي من جيب سترته وهو يغط في نومه...
وراق كوينسي هذا الحديث وودت لو يستمر، لعلها باجابته على مثل هذه الأسئلة يتجسد امامها فلا يبقى شبحاً جاثماً في مخيلتها. غير انه نظر الى ساعة يده وقال:
- حان وقت الانصراف، على ما اظن.
ثم صافح السيدة جونز وتمنى ان يلقاها في وقت قريب...
فغمرها الحياء وهي تشيعهما الى الباب، حيث وقفت تلوح لهما مودعة، فيما فتح جو باب السيارة وساعد كوينسي على الصعود الى المقعد الأمامي.
وبعدما انطلقت السيارة التفت جو الى كوينسي قائلاً:
- اراك تميلين الى المشاكسة هذا الصباح... لاحظت ذلك وأنت

تهبطين السلم... فهل انت مترددة في الذهاب الى لندن؟

فاعترفت بترددها قائلة:

- لا ادري لماذا وافقت على الذهاب.

- فات اوان التراجع الآن.

قال ذلك وزاد في سرعة السيارة حتى انطلقت تنهب الطريق نهباً.

وبعد قليل قالت له كوينسي:

- سأقيم في لندن عند اختي، لا عند الآنسة ليستر.

- علمت ذلك من والدتك، كما علمت منها ان اختك راقصة، فأي نوع من الراقصات هي؟

- ترقص في فرقة تظهر على التلفزيون وتعرف باسم النمورة.

- وكم عدد افراد الفرقة؟

- خمسة عشر راقصاً وراقصة.

وكان والداها فخورين بليلي، وان لم تكن بلغت بعد اوج الشهرة في عالم الرقص والغناء. كانت رائعة الجمال وذات موهبة فائقة، مما جعل كوينسي تتساءل ماذا سيكون رأي جو الدونيز فيها عندما يلقاها. فكل رجل، ما عدا برندن، وقع في غرامها لحظة رآها، فهل يقع هذا الرجل الجالس بجانبها؟ وماذا لو فعل؟ وهل يعنيها هذا الأمر، ولماذا يخطر ببالها على الاطلاق؟

وابطأ جو في سيره قليلاً عند مفرق مزدحم بالسيارات، فاذا بأحدهم في سيارة اخرى يحملق فيه وهو فاغر الفم. ولاحظت كوينسي ان جو ابتسم عندما ادرك ان احداً عرفه، ثم فتح درجاً امامه وتناول نظارتيه السوداوين ووضعهما على عينيه، حتى يخفي ملامح وجهه.

وسألته قائلة:

- اين قضيت ليلة البارحة؟

فأجابها قائلاً:

- في فندق قريب من هنا. ومنذ حين، سبقنا بيلي وكارمن

الى لندن.

- ولماذا جئت بنفسك لمرافقتي؟

- كنت سأعود بسيارتي، على كل حال.

قال ذلك ولم تستطع كوينسي ان تتبين، لوجود نظارتيه، اذا كان يبتسم ام لا.

وسألته قائلة:

- هل يقلقك ان يتعرف اليك احد؟

فابتسم وهو يجيب قائلاً:

- لا يهمني ذلك... فهم بحاجة الى اجنحة ليلحقوا بي في سيارة كهذه!

- انها سيارة جميلة حقاً.

- احب السيارات السريعة.

قال ذلك وزاد السرعة حتى اخذت كوينسي تصيح قائلة:

- لا احب السرعة... ارجوك!

فأبطأ قليلاً ونظر اليها قائلاً:

- نسيت. يجب ان اتجنب مخالفة قانون السير في هذا الظرف، فذلك يسيء الي في نظر الناس...

- اهذا كل ما يهمك؟

- كان علي ان اتعلم اني شخصية شهيرة!

وبعد قليل من الصمت، مال نحوها وسألها قائلاً:

- اتريدين الاستماع الى الموسيقى؟

ومد يده وفتح الراديو امامه، فصدحت الأنغام. وحين اذيعت احدى اغانيه، تأوه واغلق الراديو قائلاً:

- كفاني... شكراً!

فقالت له كوينسي:

- الا تحب ان تسمع صوتك يصدح؟

- قبل ان تصدر الاسطوانة الى السوق اكون متّ من

كثرة سماعها...

- وكيف دخلت عالم الغناء؟

- بالمصادفة. كنت اغني في احدى السهرات، فسمعني احدهم. ثم لم البث ان وجدت نفسي اوقع عقداً. وفيما مضى كان غنائي متعة، فأصبح الآن مهنة... واذا كان لك أوهام بخصوص هذه المهنة فاقلعي عنها... انني اعمل بمشقة، ولساعات طويلة. وفي حين كنت اهرب من مساعدة والدي في بساتين البرتقال لكي اغني، اصبحت الآن اهرب من الغناء لكي اساعد والدي...

وكانت كوينسي تصغي اليه وهي مقطبة الجبين. ذلك انه كان يغير تصورها عن الحياة التي يسلكها. فهل هو صادق في ما يخبرها به يا ترى؟

وسألته قائلة:

- وكم مرة تذهب الى زيارة اهلك؟

- اقل مما اتمنى. فهناك هو المكان الوحيد الذي استطيع ان اكون فيه انا نفسي، من دون ان يراقبني احد. وكلما كبرت في السن، ازداد تقديري لأهلي. وانا محظوظ جداً. فوالداي لم يتغيرا مطلقاً، حتى ان والدتي لا تتردد في توبيخي اذا رأت اني اخطأت... ليتك تتعرفين اليها، فشعوري انكما معاً كالسمن والعسل. فهي ايضاً امرأة بكل معنى الكلمة!

وفوجئت كوينسي بهذه الملاحظة، واعتزت بها رغم عزمها على عدم التأثر بكل شيء يقوله.

وبعد ثلاث ساعات وصلا الى لندن. وقالت كوينسي وهما يخترقان شوارع المدينة:

- ليلي تقيم في حي تشلسي.

- هل تمانعين اذا توقفنا أولاً في فندقي؟ كارمن تنتظرنا هناك، وعلي ان اخبرها بأنك لن تنزلي في ضيافتها. وأنذرك ان اي تغيير في المخطط المرسوم يزعجها كثيراً.

ـ انا آسفة. ولكن من الأفضل ان انزل في ضيافة اختي.

وهالها ما ستعانيه من كارمن عند لقائهما، كما هالها منظر الفندق الفخم وهي تدخل اليه مع جو.

وقال لها:

ـ هل انت مستعدة لمصارعة كارمن؟ هي فتاة فظة شرسة كما تعلمين!

وبعد ان اخذ مفتاح غرفته من ادارة الفندق، سار الى المصعد ترافقه كوينسي. وفكرت ماذا يمكن ان تفعل بها كارمن؟ ومهما يكن موقفها، فهي لن تقبل الا بالنزول ضيفة على اختها.

وكان لجو جناح خاص في الفندق يشرف على لندن. وما ان دخل اليه مع كوينسي، حتى نادى بيلي قائلاً انهما حضرا.

فلم يتلق اي جواب. كان الجناح خالياً، لا حس فيه ولا صوت. واتجه جو نحو غرفة واسعة فاخرة الرياش، ووقف في وسطها وهو يجول ببصره في انحائها باعجاب بالغ.

وكانت باقات الزهور تملأ الغرفة. ورأى جو في احداها ظرفاً، فأقبل وتناوله وقرأ محتواه وظهر على وجهه العبوس. ووقفت كوينسي عند الباب وهي تشعر بالحرج والحياء امام مشهد الفخامة التي تحيط بها.

وتطلع جو اليها قائلاً بنبرة جافة:

ـ يبدو ان بيلي وكارمن مشغولان... فهل تريدين ان تتلفني لأختك لتتأكدي انها في البيت؟

فوافقت كوينسي على ذلك وهي تشعر بالارتياح لأنها تجنبت لقاء كارمن... وحين ادارت قرص التلفون لم تسمع جواباً. وكان جو يراقبها باهتمام... وحارت ماذا تفعل الآن، لأنه لم يخطر ببالها ان لا تجد ليلي في بيتها.

وقال لها جو:

ـ لماذا لا نتناول طعام الغداء هنا في الغرفة؟ لا اعلم ماذا تريدين

ان تأكلي، وأما فيما يخصني فأنا سأطلب شريحة من اللحم.
وتناول جهاز التلفون وطلب مطعم الفندق وهو يقول لكوينسي:
ـ هل تريدين شريحة من اللحم انت ايضاً؟
ـ نعم، شكراً.
وطلب جو طعاماً لكليهما، ثم قال لها:
ـ حسب خبرتي في هذا الفندق، علينا ان ننتظر على الأقل نصف ساعة قبل ان يأتوا بالطعام. وفي هذه الأثناء لماذا لا تنزعين سترتك، فالجو حار هنا؟
فكت ازرار سترتها بأصابع مرتجفة بعض الشيء، فيما كان جو، هو الآخر، ينزع سترته ويلقي بها على احد المقاعد. ثم اقبل نحوها بخفة عجيبة، وأخذ يساعدها في نزع سترتها، فشعرت بروؤس اصابعه الباردة على عنقها. ولما سرت القشعريرة في عروقها وتراجعت قليلاً، بادرها بالقول:
ـ لا تضطربي... فليس في نيتي الآن ان اغازلك!
ـ شكراً، لا اشك في صدق كلامك.
ـ اما انا فأشك في صدق كلامك هذا...
ومد اصابعه ولامس عرقاً في عنقها ينبض بسرعة ظاهرة، وقال:
ـ ما هذا؟ اتظنين اني لا اعرف ان قلبك يكاد يقفز من بين ضلوعك؟
ـ ليس لأجلك! فلا علاقة لك بخفقان قلبي. فاذا كان يخفق فلأن الجو شديد الحرارة هنا.
ـ اهكذا تقولين؟
واقترب منها فتراجعت عنه. واصطدمت ساقها بالمقعد الفاخر الذي كان وراءها، ففقدت توازنها وسقطت عليه.
ولم يكن ذلك في صالحها، لأن جو سرعان ما جلس الى جانبها، وهو يهمس في اذنها قائلاً:
ـ هل تستطيعين ان تري في الظلام؟

ففوجئت بهذا السؤال، ولم تعرف ماذا تجيب. فقال لها شارحاً:

- لك عينا قطة. خضروان كالعشب، ومليئتان بالتحدي. بقي ان اشعر بمخالبك، فهي ولا شك قاطعة كشفرة الحلاقة!

وقبض على احدى يديها ورفعها اليه، فاذا بأظافرها تسطع كاللؤلؤ وقال لها:

- ليست مخالبك حادة كما خيل الي... ولكنها قد تكون خداعة ككل شيء فيك!

فنظرت اليه بقلق، لأنها ادركت انه كان يغازلها عن عمد. وكان سحر رجولته، وهو بالقرب منها، من الصعب ان يقاوم. يضاف الى ذلك ما كانت تتركه نظراته في عينيها من اثر يبعث الدم حاراً في عروقها. وتساءلت كيف يمكن ان يكون شعورها ان هو اخذها مرة ثانية بين ذراعيه. فحين عانقها لأول مرة كانت في حالة من الذهول منعتها من الشعور بأي شيء. كانت معانقته سريعة وعلنية، حتى انها لم تكن هكذا بالمعنى الحقيقي للكلمة.

وقال لها بنبرة جافة:

- ما لك صامتة... هل فقدت لسانك؟

- لم اتكلم لأن ليس لدي ما اقوله.

- هذا شيء جديد حقاً... ان يكون في العالم امرأة لا تتكلم لأن لا شيء لديها تقوله. ومهما يكن، فالذي يدهشني ويحيرني ان تبقي الى الآن عزباء، أو على الأقل من دون حبيب، وأنت في مثل هذا الحسن.. فهل الرجال الذين التقيتهم في حياتك عميان الى هذا الحد؟

- كلا.

- لم يكن كلامي بصيغة السؤال، بل اردت ان اعرف اذا كان هنالك رجل في حياتك الآن!

- وهل يعنيك هذا الأمر؟

قالت ذلك وهو يضع كفه تحت ذقنها ويرفع وجهها اليه لينظر في

عينيها الخضراوين.

وقال لها:

ـ اصر على الجواب لأنه يعنيني كثيراً... اتراه يكون ذلك الرجل الذي كان برفقتك ليلة البارحة؟ فمن هو؟

ـ برندن... شريك والدي في عيادته.

ـ متزوج؟

ـ كلا.

ـ وكم له من العمر؟

ـ ثلاثون سنة.

ـ وهل له طموح الى الزواج بك؟ هل يحبك يا كوينسي؟

فأحست كوينسي بالغضب يتجمع في داخلها، فأجابت قائلة:

ـ وماذا لو كان له مثل هذا الطموح؟

ـ اعتقد ان والديك يجدانه ملائماً لك... فهما بزواجك منه لا يخسران ابنتهما، بل يربحان بيطرياً آخر!

فقالت بشيء من الغيظ:

ـ هذا مزاح ثقيل، الا ترى؟ واريد ان اسألك يا سيد الدونيز هل ساءك ان لا اكون الدمية التي توقعتني ان اكون؟ واذا كنت تظن اني سأقع بين ذراعيك من دون حراك، فأنت مخطىء. وأنا انما قبلت ان اقوم بهذا الدور السخيف رضوخاً للضغط الشديد الذي مورس عليّ. والآن كل ما يهمني هو ان تمضي الأيام القليلة الآتية بسرعة، فليس مما يبعث السرور في نفسي ان ادعي انك اعظم شيء في الحياة منذ اختراع البارود... انا اكره الادعاء والكذب، حتى لو لم يكن هنالك بديل عن ذلك... وكان عليك ان تستأجر ممثلة لتلعب دور العاشقة المغرمة، فهي تتقن الدور افضل من واحدة مثلي...

وكان جو جالساً يستمع اليها باهتمام وهو يحدق اليها بامعان وتأمل. وبدا عليه انه لم يعد الرجل الساخر المتهكم، بل اصبح كأنه من صوان بملامحه القاسية وعينيه اللتين اوشك ان يتطاير منهما الشرر..

٣ - لماذا رضيت ان تفعل هذا كله؟ هل وافقت على التعاون في هذا المشروع لأنها اخذت بسحر جو ألدونيز؟ ودت من كل قلبها لو انها تسرع في العودة من حيث اتت!

وقبل ان يبدي جو ردة فعله على كلام كوينسي، طرق الباب ودخل الخادم يجر عربة صغيرة ملأى بأنواع الطعام، فحياهما بتهذيب فائق.

ونهض جو، بعد ان هيأ الخادم المائدة، وجلس حولها، وهكذا فعلت كوينسي. ثم خرج الخادم وهو يتمنى لهما شهية طيبة.

وباشر جو بتناول طعامه وهو صامت مطأطىء الرأس. وشعرت كوينسي ان جو الغرفة يغص بالعداء، غير انها ركزت اهتمامها على شريحة اللحم التي امامها، على الرغم من انها فقدت كل شهية. واخذت تلوم نفسها على الكلام الغاضب الذي بدر منها، ولكنها لم تستطع ان تحمل نفسها على الاعتذار. اذ كيف في وسعها ان تشرح له

ان غضبها مرده الى شعورها البائس بأنها فتاة عادية، تفتقر الى الجمال والرونق، اذا ما قيست بالفتيات اللاتي يقابلهن كل يوم؟ ثم ان كبرياءها تمنعها من الاقرار له بانها وجدته رجلاً فائق الجاذبية، بل بالعكس تشجعها على جعله يظن انه لا يحرك فيها ساكناً...

كان، على الارجح، يغازلها بعض الشيء، فلماذا ازعجها ذلك؟ فهو اما انه كان يلهو بها، وهذا يجرح كبرياءها، او انه كان يحاول ان يبعث السرور في نفسها. وهو يستعين في الحالتين بتمرسه على حياة التمثيل والدعاية التي تصطنع المواقف، وبجاذبيته التي تكمن، اكثر ما يكون، في صوته، خصوصاً عندما يغني. ولكن كوينسي عزمت ان تقاوم الوقوع في حبائله مهما كلف الأمر. فهي فتاة ريفية بسيطة وسريعة العطب، وتأخذ الحياة بجد.

وما ان انتهيا من تناول طعامهما حتى دخل بيلي غريفيث وكارمن ليستر. وألقت كارمن نظرة شاملة على المائدة ورسمت على وجهها علامة التعجب وخاطبت كوينسي قائلة بابتسامة:

- ارى ان جو يعتني بتغذيتك جيداً!

وشعرت كوينسي بشيء من الاهانة لهذا الكلام التهكمي الساخر. فهل يا ترى كانت، في يوم من الأيام، صديقة جو، وهي الآن لم يبقَ لها منه سوى الغيرة؟ وخطر لكوينسي ان كارمن تستطيع ان تحمي نفسها من جو اكثر منها، فهي من النوع الذي لا يفقد رشده عند اول ابتسامة حميمة تتلقاها من رجل كجو.

ومد بيلي يده الى كوينسي يصافحها بحماسة قائلاً:

- تسرني رؤيتك... هذا شيء رائع!

ولما قال له جو ان اسمها كوينسي تابع كلامه قائلاً:

- ما اجمل هذا الاسم!

ثم التفت الى جو وقال له:

- التمرين في الثالثة يا جو، وسنستقل الطائرة الى ليفربول غداً في الثامنة والنصف. وسيجري التمرين في القاعة هناك. وكل

شيء جاهز.

فأجابه جو:

- حسناً. وعلى فكرة... كوينسي تفضل الاقامة عند اختها في لندن. فهل من احد يرافقها الى هناك؟

فقطبت كارمن جبينها وقالت لكوينسي:

- اين تقيم اختك؟

- في تشلسي.

ونظرت كارمن الى بيلي غريفيت قائلة:

- لا اعتقد ان هذه الفكرة صائبة، لأننا يجب ان نبقيها في متناول ايدينا...

فقاطعها جو قائلاً بحزم:

- اذا كان هذا ما تريده، فليكن!

- ولكن، اسمع يا جو...

- لا جدال في الموضوع. وجودها حيث تشاء يريحها، فضلاً عن ان اقامتها عند احد افراد عائلتها افضل من اقامتها عندك.

فوافق بيلي على كلامه، فيما ظهر الاستياء على كارمن وقالت:

- كما تريد يا جو... تعالي يا كوينسي. انا سأرافقك الى هناك لأني احب ان ارى اختك.

وقال بيلي مخاطباً كوينسي:

- هل اختك متزوجة؟ وهل لها اولاد؟

فأجابته كوينسي:

- كلا!

فاستدار بيلي نحو النافذة، وكأنه فقد كل اهتمام بالأمر. وتطلعت اليه كوينسي بكراهية شديدة... فهو لم يكن بشراً من لحم ودم، بل اشبه بآلة لصك النقود. كل ما يهمه هو الربح، لأن كل شيء في نظره لم يكن له اية قيمة الا اذا امكن الافادة منه واستغلاله. ولم تحسد جو على حياته التي كانت محاطة برجال من هذا النوع.

وقال جو لكوينسي بصوت هادىء:

ـ الأفضل ان تتلفني لأختك لتتأكدي من انها في البيت.

ولما فعلت ردت عليها اختها، فقالت لها:

ـ انا كوينسي يا ليلي...

ـ كوينسي؟ اين انت الآن؟ انا بأحر الشوق الى لقائك... متى تأتين الى لندن؟

ـ انا في لندن الآن. هل آتي اليك الآن... حاولت الاتصال بك من قبل، فلم احظ بجواب.

ـ كنت في السوق. تعالي في الحال، انا بانتظارك...

ـ سأكون عندك بعد ربع ساعة.

ولم ترد كوينسي ان تخبرها انها كانت مع جو الدونيز في الفندق.

وسار جو الى حيث كانت سترتها ملقاة على المقعد، فتناولها وساعدها على ارتدائها. وساءها ان تحس بسرعة خفقان قلبها كلما اقترب منها.

وقال لها بصوت أجش جاف:

ـ سأراك بعد عودتي من التمرين...

وخرجت من الغرفة برفقة كارمن، وهي تقول لنفسها انها عندما تلتقي جو مرة اخرى، ستحتفظ بالسيطرة على نفسها كما فعلت هذه المرة، لا بل اكثر مما فعلت، لأن قلبها كان يسرع في الخفقان كلما لامسها او اقترب منها.

وسألتها كارمن عن العنوان، فأعطتها اياه وهي تصعد الى السيارة. ثم انطلقت بهما السيارة في زحمة السير في شوارع لندن. وكان ذلك النهار الربيعي يميل ببطء نحو الغروب. وفي الطريق المحاذي لنهر التايمس كانت السماء صافية فوق مياه النهر الرصاصية اللون.

وسألتها كارمن قائلة:

ـ هل تعمل اختك في لندن؟

قالت ذلك ورمقتها بنظرة باردة، فشعرت كوينسي في الحال ان تلك الفتاة لا تحبها كثيراً. غير ان كارمن ليستر كانت من النساء اللواتي لا يملن الى بنات جنسهن، واللواتي يتصفن بالصلابة والاستقلالية والعمل الصارم. وكانت، ولا ريب، تستغل جاذبيتها المثيرة كلما اقتضت الضرورة. ولاحظت كوينسي انها تتحدث الى بيلي غريفيت حديث الند للند، ومع انها تبتسم لجو الدونيز وفي عينيها بريق خاص، فهي لم تكن، في نظر كوينسي، شغوفة به اكثر من شغفها بأي رجل آخر. فمصلحتها الشخصية هي التي تملي عليها تصرفاتها، لأنها تعتقد ان مستقبل حياتها يتقدم على كل شيء.

وقالت لها كوينسي:

ـ اختي راقصة مع جوقة النمورة.

ـ صحيح؟ وانت ماذا تعملين في الحياة يا كوينسي؟

ـ اساعد والدي في عيادته وامي في تدبير شؤون البيت عند الحاجة.

ـ انت اذن فتاة بيتية... ألم تفكري يوماً في ان تقومي بعمل اكثر اثارة ومتعة؟

ـ كلا. احب مساعدة والدي، خصوصاً لأني احب الحيوانات واكره ان اراها تتعذب. ولا افضل اي عمل آخر غير العمل الذي اقوم به مع والدي، ما عدا ان اكون طبيبة بيطرية. وهذا لم يتسن لي لأني لم اكن مجتهدة بما فيه الكفاية، وهناك الكثير مما يجب ان اتعلمه في هذه المهنة، وهذا يقتضي سنوات عديدة.

فابتسمت كارمن ابتسامة تنم عن شعورها بالازدراء وقالت:

ـ لا بأس، اذا كنت سعيدة.

وكانتا وصلتا الى حيث تسكن ليلي، فأوقفت كارمن السيارة. وكان المنزل على مقربة من النهر، استأجرت فيه ليلي غرفتين في الطبقة السفلى. وكانت الغرفتان لائقتين وإيجارهما مرتفعاً، الا ان المكان كان في وسط المدينة، مما سر ليلي كثيراً.

ونزلت كوينسي واخذت تدق الجرس، فيما كانت كارمن تراقبها. ولم يلبث الباب ان انفتح وظهرت منه ليلي فاتحة ذراعيها لاستقبال اختها. وفوجئت حين رأت انها لم تكن وحدها.

فقالت لها كوينسي:

- اعرفك الى كارمن ليستر، محررة مجلة فايبس التي اجرت المسابقة.

فحيتها كارمن وهي تمعن النظر اليها، غير مصدقة ان يكون هنالك امرأة على هذا القدر الكبير من الجمال.

وردت ليلي التحية ودعتها الى الدخول.

وكانت ليلي فتاة رقيقة الحاشية، بحيث تبدو كأن لا عظام لها، مما جعل قامتها النحيلة الهيفاء تتحرك بخفة متناهية. وكانت على وعي دائم بجسمها، فحرصت اشد الحرص على ان تفعل كل شيء برشاقة واناقة ودقة، وان تبتسم بعذوبة وشفافية متناهية، لكأنما الوقت الذي صرفته في التدرب على ذلك كله لم يذهب سدى. وكانت ترتدي سروالاً من الجينز وقميصاً ابيض مطرزاً عند الصدر. وكان شعرها الأحمر يحترق كالجمر في هواء لندن، وهي تروح وتجيء في غرفة الجلوس.

وسر كوينسي ان ترى ملامح وجه كارمن. فروح التعالي والكبرياء زالت عنها تماماً، عندما وقعت عينها على ليلي.

وقالت ليلي بابتسام:

- صعب علي ان اصدق ان كوينسي فازت بموعد مع جو الدونيز.

فقالت كارمن:

- سرنا ذلك جداً. فهي كاملة الأوصاف في نظر المسؤولين لدى جو الدونيز عن الدعاية والعلاقات العامة.

وقالت ليلي:

- انا افهم لماذا. ولكني لا استطيع الا ان اعتقد ان اختي الصغيرة تحتاج الى حرس يحميها من جاذبية جو الدونيز وسحره. فهي لا

تتمتع بالخبرة الكافية التي تمكنها من التصدي له.

فرمقتها كارمن بنظرة متعالية وهي تجيب قائلة:

- لا تقلقي، فهي تستطيع ان تقوم بذلك لسهرة واحدة معه. وهذا حدث مهم في حياتها تورثه لأحفادها!

وهمت كوينسي ان تصرخ وتعض المقعد الذي جلست عليه... كيف يحق لهما ان تتحدثا عنها بمثل ذلك الاستخفاف؟

وقالت كارمن:

- علينا، اول الأمر، ان نعمل على تهيئتها.

قالت ذلك واشركت ليلي في النظر اليها بتأمل لاستعراض قيافتها وهندامها. وسألتها ليلي وهي تتنهد وتنقر بأناملها على ذقنها:

- هذا ضروري. وكيف ستفعلين ذلك؟

فأرسل هذا السؤال رعشة في مفاصل كوينسي. وساءتها طريقتهما في تفحصها كما يتفحص المهندس بناء مرشحاً للهدم واعادة البناء على نحو آخر.

واجابت كارمن:

- شعرها... انظري كيف هو الآن.

ونظرت اليه ليلي، فلم يرق لها بالطبع فقالت:

- وثيابها؟ هذا بالاضافة الى التجميل والتزيين وقضاء بضع ساعات في الاستحمام والرياضة البدنية.

واشتركت كوينسي في الحديث فقالت بامتعاض:

- هل سأقضي السهرة مع مغن، ام سأتدرب على الدخول في الاولمبياد؟

غير انهما تجاهلا كلامها، وقالت كارمن:

- علينا اولاً ان نعين موعداً للمصور، قبل السهرة وبعدها.

وتساءلت كوينسي في قلبها ماذا يا ترى سيتغير فيها بعد السهرة؟ هل ستتحول الى آية في الجمال؟

وجالت كارمن بنظرها في انحاء الغرفة الصغيرة وتفحصت كل

شيء فيها بعناية، ثم قالت لليلي:

- هل بالامكان دعوة المصور الى هنا غداً؟ جو وفريقه سيكونون في ليفربول طوال اليومين القادمين، وهذا يعطينا متسعاً من الوقت، واود ان التقط لها بعض الصور معك هنا، والبعض الآخر وهي تتجول في شارع سياحي من شوارع لندن.

فابتسمت ليلي موافقة على كلامها وقالت لها:

- كونها ضيفتي... هل يمكن ان ارافقها وهي تتجول في لندن؟

فأجابتها كارمن قائلة:

- ولماذا لا؟ هذه فكرة حسنة. وستظهرين معها كما لو كنت دليلة سياحية...

واتجهت نحو الباب، ثم تابعت كلامها قائلة:

- سأعود الى هنا في العاشرة من صباح الغد... ارجوك يا ليلي ان لا تدعيها تغيب عن نظرك... لا اريد ان يتسرب شيء من اخبارها الى الصحف، لئلا نفشل في مشروعنا هذا.

وما ان خرجت حتى تهالكت كوينسي على مقعد هناك، واغمضت عينيها وهي تتنفس الصعداء. كان النهار كله شاقاً ولم يعد في استطاعتها تحمل العياء الذي كانت تحس به.

ووقفت ليلي امامها، ويداها حول خصرها، وقالت:

- لم اصدق عيني حين رأيت صورك في الصحف... ظننت اني في حلم.

فوافقتها كوينسي على كلامها قائلة، من دون ان تفتح عينيها:

- صورك وصوري...

وقالت لها ليلي:

- ما بك لا تظهرين ميلاً الى الكلام؟ اخبريني كيف رأيته عن كثب؟ اود ان اسمع كل شيء عنه، كما هو في الواقع.

فأجابتها كوينسي قائلة:

- لا تطلبي ذلك مني، بل اطلبيه من المسؤولين عن الدعاية له،

فهم الذين صنعوه . .

فحدقت اليها ليلي بدهشة قائلة :

ـ كلامك هذا لا يدل على انك من المعجبات المتيمات به!

ـ انا لست منهن على الاطلاق. . . وانا لم ادخل في المسابقة، بل بوبي. . . الم تخبرك والدتنا ماذا جرى؟

ـ كلا! وكيف كان ذلك؟

فاخبرتها كوينسي . وقهقهت ليلي ضاحكة، مما ازعج كوينسي في باديء الأمر، لكنها لم تلبث ان ضحكت هي الاخرى ملء شدقيها .

وقالت ليلي :

ـ هذا مضحك حقاً . . . وليس بمستبعد من بوبي .

وما ان ذكرت بوبي حتى ظهرت دلائل الحنان على وجهها . فهي كانت متعلقة أشد التعلق بأخيها الصغير، وتشعر نحوه بعاطفة خاصة، نظراً للفارق في السن بينهما . فحين ولد بوبي كانت ليلي فتاة شغوفة بالرقص وهي على مقاعد الدراسة، وكانت تعنى به في اوقات فراغها . غير انها لم تمنحه الا القليل من وقتها بعد انتقالها الى لندن، ومع ذلك احتفظت بتعلقها الشديد به .

وقالت لها كوينسي بشيء من الدعابة :

ـ انت افسدته، اليس كذلك؟

فانكرت ليلي قائلة :

ـ كلا . الصبيان هم الصبيان كما تعلمين!

وقالت كوينسي :

ـ ولعل جو الدونيز افسدته والدته، او احد سواها . فهو يتصرف كمن يتوقع من جميع النساء ان يقعن عند قدميه!

ـ هذا مثير للغاية. . . وهل وقعت انت؟

ـ كلا، مطلقاً!

ـ ولماذا علا الاحمرار وجهك اذن؟

ـ لأنني مستاءة ومنزعجة .

ـ قد تكونين صادقة في قولك هذا. . . وعلى كل حال، ماذا عن طعام العشاء؟ لست طاهية ماهرة، وهناك بعض الخضار في الثلاجة. . . ويمكننا ان نتعشى في مطعم صيني.

وبعد التفكير قررتا الخروج الى المطعم. وكان في جملة ما قدم اليهما من طعام هناك قطع من الحلوى تحتوي كل منها على ورقة صغيرة تكشف الحظ. فلما قرأتها كوينسي في قطعتها، رمتها جانباً بعصبية، فقالت لها ليلي:

ـ ماذا قرأت بها؟

ـ لا شيء!

فالتقطت ليلي الورقة من المنفضة وقرأت ما يأتي:

«عندما يبسط الصياد شباكه، فالعصفور الذكي يبقى في الفضاء».

ثم قالت:

ـ يبدو لي ان هذه نصيحة في محلها يا كوينسي. . . وارجو ان تتذكريها.

وبحثت كوينسي بنظراتها عن الخادم وهي تقول:

ـ هيا بنا. . . انا ادفع الحساب، واشكرك على ضيافتك لي وسأبذل جهدي ان لا اضايقك مدة اقامتي معك.

وفي اليوم التالي وصلت كارمن ليستر مع المصور كما كان متوقعاً. وقبلت كوينسي بامتعاض ان تكون اداة طيعة في يد كارمن والمصور. فكانت تتخذ الوضع الذي يختارانه لها، وتطوف في شوارع لندن كمن يمثل في فيلم، حتى سئمت وتعبت من هذا التصرف المفتعل السخيف. وتساءلت لماذا رضيت ان تفعل هذا كله؟ اما كان هنالك من طريقة اسهل من هذه الطريقة لحصول بوبي على ترانزيستور؟ غير انها كبتت شعوراً خفياً في داخلها بأن ذلك لم يكن السبب الوحيد. فهي وافقت على التعاون في هذا المشروع، لأنها اخذت بسحر جو الدونيز!

وذهبت الى فراشها باكراً تلك الليلة. وفي الصباح التالي عادت كارمن وحدها ورافقتها الى صالون التجميل. واسترعت كوينسي انتباه النساء هناك، لأنها ظهرت بمظهر الفتاة التي لم يكن هندامها يدل على انها من الطبقة الثرية التي من شأن بناتها التردد على مثل ذلك الصالون التجميلي الشهير.

واجلستها كارمن في احد الكراسي وعمدت، هي وشاب يعمل في الصالون، الى الدوران حولها يتفحصانها من جميع الجهات. وكانت انظارها تتبعانهما وهي تتساءل ماذا سيفعلان بها؟ وودت من كل قلبها لو انها تسرع في العودة من حيث اتت.

وقال الشاب:

ـ يا له من شعر جميل. ولكنه، على ما يبدو، لم تلمسه يد المزين بعد.

واخذ مشطاً من جيب سترته البيضاء وراح يعبث بجدائلها الكستنائية اللون، وقال:

ـ معظم هذه الجدائل يجب الاستغناء عنه...

ولما حاولت كوينسي الاحتجاج قال لها الشاب:

ـ شعرك كثيف جداً يا عزيزتي، ويقتضي ان تنفقي نصف حياتك في تمشيط وتصفيف هذه الجدائل والضفائر. شكل وجهك رائع حقاً... وسأقص شعرك على نحو يبرز روعته، ويجعل شخصيتك الحقيقية تنعكس عليه بوضوح تام.

وتساءلت كوينسي في نفسها ما هي يا ترى شخصيتها الحقيقية؟ وكيف لهذا الشاب ان يعرفها؟

وقضت معظم النهار في صالون التجميل. وكان غضبها يزداد مع مرور الدقائق. وجاءت كارمن ورافقتها الى شقة اختها في نحو الرابعة بعد الظهر، وفتحت ليلي الباب لهما، وصرخت من الدهشة حين وقع نظرها على كوينسي الجديدة.

وألقت كوينسي بنفسها في احد المقاعد منهوكة القوى، بينما

راحت ليلي تتأملها وتتفحص خصلات شعرها القصيرة المجعدة، ومعالم التجميل على وجهها الرائع واظافرها الملونة كأوراق وردة حمراء.

وصاحت بها من شدة الاعجاب:

- وما بك يا عزيزتي؟ انت الآن في منتهى الجمال!

فتمتمت كوينسي قائلة:

- لا ادري.

- اظن انك مرهقة من شدة التعب.

- نعم. واود ان اذهب الى فراشي باكراً ايضاً هذه الليلة.

وحدقت ليلي اليها بدهاء وقالت:

- ما تحتاجين اليه حقاً هو ان تختلي بنفسك بعض الوقت.

فتنهدت واجابت قائلة:

- اصبت. فكم سئمت التجوال في لندن تحت رحمة كارمن ليستر. وفوق ذلك، فأنا لا احبها لأنها تأمرني ولا تأخذ رأيي.

فضحكت ليلي وقالت لها:

- وهذا ما يجعلها ناجحة جداً في مهنتها... متى ستأتي لمرافقتك الى شراء الثياب؟

- غداً بعد الظهر. وهي تعاملني كما لو كنت في السادسة من عمري.

ودق جرس الباب، فاضطربت ليلي وتساءلت من يكون هذا الزائر؟ واستراحت كوينسي في مقعدها، فيما خرجت اختها من الغرفة. وتمنت لو انها تخلو الى نفسها بضعة ايام، فتتمشى في الحقول حول بيتها، وتتسمع الى زغردة العصافير على الغصون. فلندن، هذه المدينة المزدحمة بالسكان والغارقة في الضجيج، لا تلائمها. لا احد فيها يعرف احداً او يبالي به. اما في القرية التي تنتمي اليها، فهي تعرف الجميع، وتتبادل الابتسام مع الجميع، نساء وشيوخاً واطفالاً. وهناك تشعر بانها جزء من الحياة حولها، اما هنا في لندن فلا

تشعر بانها تعيش على الاطلاق، بل هي اشبه بدمية في يد كارمن ليستر، تحركها وتتلاعب بها لخدمة غاياتها.

وعادت ليلي الى الغرفة، والى جانبها رجل جسيم يرتدي معطفاً ثميناً قاتماً، فرمق كوينسي بنظرة عاجلة، قبل ان ينظر الى اختها ثانية نظرة التساؤل.

وقالت ليلي وهي تبتسم:

ـ اقدم اليك مارك لاتيمر يا كوينسي... وهذه اختي كوينسي يا مارك. اخبرتك عنها وعن قصتها مع جو اللدونيز، الا تذكر؟

ومد مارك يده مصافحاً وهو يقول لكوينسي:

ـ قرأت الخبر ايضاً. ما هو شعورك امام هذه الشهرة المفاجئة؟

وكان للرجل صوت اجش يلائم ضخامة جسمه. واحست كوينسي انه ليس من النوع الذي يمكن الجدال معه، على الرغم من عذوبة ابتسامته. كان يوحي بانه متسلط اعتاد على اصدار الأوامر، حتى ان ليلي كانت تتوقاه وتعامله باحترام.

واجابته ليلي بالنيابة عن اختها:

ـ هي ليست متأكدة انها تحب هذه الشهرة.

وشعرت كوينسي ان نظرات مارك لاتيمر تتفحصها. ثم قال لليلي:

ـ يجب ان تأتي بها الى الاستديو في اثناء وجودها في لندن. ربما تحب ان تشاهد التمارين لمدة ساعة.

فترك كلامه هذا لدى كوينسي الانطباع بانه يمنحها شرفاً عظيماً بهذا الاقتراح. ثم تابع قائلاً:

ـ سأدعو الى اجراء تمارين غداً في التاسعة والنصف صباحاً... وطلبت ثياباً اخرى غير التي ترتدينها الآن وتظهرين فيها كالبجعة.

وبدت لهجته لكوينسي صارمة حادة، كما بدا لها من شعره الأسود الذي بدأ يغزوه الشيب انه في الاربعينات من عمره. ومع انه لم يكن وسيماً ولا جذاباً، الا ان ليلي كانت تجيبه دائماً بالايجاب والقبول.

ثم التفت الى كوينسي وابتسم لها قائلاً:
- ارجو ان نلتقي مرة ثانية وانت هنا في المدينة.
قال ذلك واتجه نحو الباب تتبعه ليلي. وبعد ان شيعته، عادت وسألت كوينسي قائلة:
- كيف رأيت مارك؟
- انه يثير الرعب، أليس كذلك؟
ولم يرق جوابها لأختها فقالت:
- ولكنه مليء بالحيوية... ومجرد وجودي معه يضاعف نشاطي...
- هذا ما اتصوره!
ولم تكن كوينسي ترغب في ان يكون لها اية علاقة برجل من هذا النوع، فهو يمسك زراً كهربائياً يجعل العاملين معه يقفزون باستمرار.
وقالت لها ليلي بلهجة حالمة:
- يا له من رجل رائع!
فحدقت اليها كوينسي بحيرة وتساءلت متى كانت اختها تحترم الآخرين مثل هذا الاحترام! غير انها استدركت حين تذكرت ان ليلي كانت دائماً تعجب بالذين هم اقوى منها، حتى انها قضت كل وقتها في السعي وراء الاتقان الى حد الكمال، في محاولة لتكون افضل من الجميع. وهي، لذلك، تتفهم رجلاً مثل مارك لاتيمر الذي هو على شاكلتها.
وسر كوينسي ان تصرف بقية ساعات الصباح على انفراد. كانت ليلي تقوم بالتمارين، فخلت لها الشقة. وحين ضجرت من السكون والهدوء، خرجت تتمشى بمحاذاة النهر، وتحدق الى البنايات القائمة على الضفة المقابلة، وتتمتع بمرأى شعاع الشمس ينعكس على المياه الرمادية اللون.
وحان موعدها مع كارمن ليستر، لترافقها الى السوق لشراء

الثياب اللازمة. وفي السوق اختارت لها كارمن الثياب على ذوقها، فلم تمانع كوينسي لأنها لم تكن هي التي تدفع ثمنها. ثم انها لم تعد تبالي بشيء ما دامت كارمن وجماعتها يحولونها الى شخص آخر. ولكنها ما ان تعود الى بيت والديها حتى تخلع عنها شخصيتها هذه المزيفة وتنسى رحلتها الى لندن وكل ما جرى لها فيها.

وسألتها كارمن وهما عائدتان الى شقة ليلي:

ـ هل شاهدت جو في التلفزيون ليلة البارحة؟

ـ كلا! ولماذا كان في التلفزيون؟

ـ كان في برنامج الأخبار خبر عنه، بخصوص الحفلة التي احياها في ليفربول، والتي لاقت نجاحاً باهراً، حتى انه كاد يذهب ضحية جماهير المعجبين والمعجبات به، لولا حماية رجال الأمن. ومثل ذلك يحدث له دائماً.

ولم تتفوه كوينسي بكلمة، ولكنها حين خلت الى نفسها فيما بعد، تساءلت كيف يستطيع جو ان يتحمل ذلك النوع من الضغط. وكانت ستشاهد بنفسها المعجبين والمعجبات به ذلك المساء في التلفزيون. وحين شاهدت ذلك اضطربت اضطراباً شديداً لأنها وجدت نفسها فجأة تحدق الى جو وهو يغني في الحفلة الثانية. كان يرتدي ثياباً سوداء، وينتعل جزمة جلدية فاخرة، ويمسك بوردة حمراء بين اصابعه. وعندما تعالى التصفيق الشديد قذف بالوردة الى الحاضرين، فتسابقوا الى التقاطها. واشتد العراك والنزاع، وضجت القاعة بزعيق الفتيات وشهيقهن، ولكن الوردة كانت في هذه الاثناء تناثرت في كل صوب. وعجبت كوينسي وهي تنظر الى جو كيف كان يبتسم ابتسامة النصر، غير تعب ومتأثر بشيء. ثم لم يلبث ان اشار الى الجوقة ان تعزف لحناً جديداً، فغرق كل من الحاضرين في مقعده، مستسلماً الى عالم آخر مليء بالأحلام التي اثارتها أغانيه.

ونهضت كوينسي من مقعدها واقفلت التلفزيون حين انتقل الى

برنامج آخر. ثم جلست تحدق في الفراغ مدة طويلة... فذلك العالم الذي يعيش فيه جو عالم احزنها كثيراً.

وبعد ان قامت كارمن بما قدرت عليه من تحويل لشخصية كوينسي، تركتها وشأنها في اليومين التاليين. وكان من المتوقع ان يعود جو الى لندن في الخميس القادم، لأن الحفلة الكبرى ستقام في مساء الجمعة. واما موعده مع كوينسي، فكان سيتم في مساء اليوم التالي.

وقالت لها كارمن:

ـ ذلك اليوم سيكون يومك يا كوينسي... هيأنا كل شيء، وما عليك الا ان تظهري في منتهى الروعة والجمال، والبقية علينا... ولا تقلقي، فلا احد يريدك ان تكوني غير ما انت.

واما ليلي، فكان ضميرها يؤنبها لأنها لم تحصل على وقت كاف تصرفه مع اختها. فمارك لاتيمر كان يرهقها طوال النهار بالتمرين على برنامج جديد.

وقالت لها:

ـ مارك لا يقبل الا بالأفضل... فلو كنت مشرفة على الموت ولم تقومي بالعمل المطلوب منك خير قيام، فانه يقيمك من القبر لتعيدي التمرين الى ان يحوز عملك رضاه.

فقالت كوينسي بسخرية:

ـ يا له من رجل عظيم حقاً!

فضحكت ليلي قائلة:

ـ انه افضل مخرج عملت معه... فهو يجعلك تشعرين بلذة الفوز حين تحققينه، حتى انك تنسين كل التعب الذي فرضه عليك في سبيل تحقيقه.

وفي المساء السابق لليوم الذي سيعود فيه جو، كان من المفترض ان تخرج كوينسي وليلي الى العشاء، ولكن ليلي في الساعة السابعة لم تكن عادت بعد من الاستديو. بل تلفنت تقول انها لن تستطيع

العودة قبل الساعة التاسعة، واقترحت على كوينسي ان تلاقيها الى المطعم في تلك الساعة. على ان كوينسي آثرت ان تلغي المشروع من أساسه، لأنها لم تعد تشعر بالرغبة في الجلوس طويلاً لتناول الطعام.

فاعتذرت لها ليلي، الا ان كوينسي طمأنتها انها ليست منزعجة على الاطلاق، وانها تفضل الخلود الى الراحة مما عانته في الأيام الفائتة من ارهاق، فهي لم تكن معتادة على حياة لندن الصاخبة.

وفكرت كوينسي وهي تستعد لتستحم ان الجميع في تلك المدينة يتسابقون للوصول الى مكان ما، حتى انهم لا يتنبهون الى شيء في الطريق. وبعد ان استلقت في حوض الماء الساخن نحو نصف ساعة، نهضت وهي تشعر بالراحة وهدوء الاعصاب. وغالبها الحنين الى والديها والى بوبي، حيث مكانها الصحيح. فمدينة لندن اشبه بمستشفى مجانين.

وخرجت من الحوض وهي تقطر ماء، فالتفت بالمنشفة واتجهت حافية القدمين الى غرفة النوم. وفيما هي تتأهب للاضطجاع في فراشها، دق جرس الباب. فقطبت جبينها وتساءلت هل يا ترى عادت ليلي من الاستديو ابكر مما توقعت...

وذهبت الى الباب وفتحته، فاذا بها امام جو وجهاً الى وجه. كان مستنداً الى قائمة الباب وهو منهوك القوى، يكاد لا يقدر ان يقف على قدميه.

ونظر اليها بعينيه الحادتين قائلاً:

- اتسمحين لي بالدخول؟

فشدت كوينسي المنشفة جيداً حول خصرها واجابت قائلة:

- كنت على اهبة الدخول في الفراش. انا آسفة... ولكن...

فقال لها بصوت حازم:
- يجب ان اتحدث اليك.

فحبست كوينسي انفاسها وتراجعت الى الوراء بصمت، فيما دخل جو الى الشقة.

٤ - بدأت شيئاً فشيئاً تدنو من الفخ الذي لم تكن تتوقعه. على انها لم تكن من السذاجة بحيث لا تدرك انه يتلاعب بعواطفها. وتطلعت الى اليومين القادمين بذعر شديد...

سار جو الى غرفة الجلوس، فتبعته كوينسي واضاءت المصباح الكهربائي. ووقف جو في وسط الغرفة، بسترته الجلدية الثقيلة، وشعره المبعثر، واخذ يجول بنظره حوله، كمن يجهل اين هو.

وقالت له كوينسي:

- قيل لي انك قادم غداً.

- هكذا كان متوقعاً... ولكني لم استطع ان اتحمل حفلة التكريم التي تقام لي الليلة هناك... فانا اكاد اموت من التعب والارهاق.

وهذا بالفعل ما ظهر واضحاً على وجهه وتحركاته فسألته كوينسي قائلة:

- هل ترغب في شيء؟ وهل تناولت الطعام؟

- الطعام؟ كلا، لا اظن اني تناولت شيئاً من الطعام.
- اذن، سأقدم اليك بعضه... ماذا تفضل؟
- اي شيء... اي شيء على الاطلاق.

واتجهت كوينسي نحو المدفأة الكهربائية، فأشعلتها لتزيد في دفء الغرفة. وكان جو لا يزال واقفاً في وسط الغرفة، فقالت له:

- تفضل اجلس. ستدفأ الغرفة جيداً بعد قليل.

فأطاعها كالطفل، ثم انهار في مقعده واغمض عينيه. وحدقت اليه كوينسي وهي مقطبة الجبين. كانت جفونه قاتمة ومقرحة من شدة العياء، ومحجرا عينيه بلون مزرق لقلة النوم.

وقال لها بصوت متردد:

- كان علي ان اجيء الى هنا.

وتساءلت هل يا ترى كانت تتوقع ذلك؟ وانتظرت قليلاً لعله يتابع كلامه، ولكنه بدا كما لو كان نائماً. وسارت الى المطبخ ببطء وهدوء وتفحصت ما في الثلاجة من طعام. كان هنالك ارز وقطع دجاج بارد وبعض البيض. وترددت في ماذا تفعل، ثم اخرجت مقلاة واخذت بطبخ مزيج منها اشبه بلون شهير من الطعام الاسباني المعروف بالباييلا. وفيما هي تهيء الطعام، خرجت لتلقي نظرة على جو، فوجدته يغط في نوم عميق، ولكنه، وهي راجعة الى المطبخ، تحرك وفتح عينيه.

فتوقفت كوينسي ونظرت اليه، فابتسم لها ابتسامة رقيقة وقال:

- غلبني النعاس قليلاً... وحلمت اني هنا معك. يا الهي، يا كوينسي، كم انا متعب!

- نعم. وهل انت جائع؟ اني اهيء بعض الطعام... هل تحب الباييلا؟

فبرقت عيناه وهو يجيبها قائلاً:

- هل انت جادة في ما تقولين؟ ليت امي تسمعك! فلو سمعتك لفرحت كثيراً.

فابتسمت كوينسي قائلة:

- لن تكون هذه البايلا مثل التي تعودت ان تذوقها...

- اقبل بها كيفما كانت.

وعادت كوينسي الى المطبخ لتستأنف عملها هناك، وحين انتهت بعد نحو نصف ساعة، كان جو خلع سترته الجلدية واستلقى باطمئنان قرب النار يتأمل بصيصها باهتمام بالغ. ولما وجدته كوينسي على هذه الحال ابتسمت قائلة:

- ارجو ان تكون استرحت قليلاً... والطعام اصبح جاهزاً

- وانت، الا تشاركينني؟ لا احب ان آكل وحدي.

فتناولا الطعام معاً. واكثر جو من الكلام، بينما كوينسي تصغي اليه ولا تتحدث الا قليلاً.

وقال جو:

- اصل الى حال لا يمكنني فيها ان اعطي اي شيء. وعند ذاك لا اجد امامي سوى الهرب. فلا يمكن للانسان ان يتحمل الى ما لا نهاية.

ثم اخذ يخبرها عن الجولة الغنائية التي قام بها، مما جعلها تشك في انه كان يعرف تماماً ما يقول. كان ذهنه شارداً، وافكاره مشوشة، وذكرياته متداخلة بعضها ببعض.

وقال لها:

- هم يحاولون الامساك بي من كل صوب، مما يحملني على التساؤل ماذا يريدون مني. وحين يستمر ذلك بعض الشيء يدب الرعب في داخلي من كثرة ما يعرب عنه هؤلاء الناس من حاجة الى عاطفة، ولا يمكن لشخص واحد ان يشبعهم.

وتوقف عن تناول طعامه، فبدأت تجمع الصحون. فقال لها جو مقطباً جبينه:

- دعي كل شيء.

فعادت كوينسي الى الجلوس وقالت له:

ـ الا تريد فنجاناً من القهوة؟

ـ نعم.

ونهض من مكانه وعاد الى المقعد المستطيل، فراقبته وهو يستلقي عليه، ثم حملت الأوعية عن المائدة وذهبت لتغلي القهوة، فيما اغمض عينيه ولم يفتحهما الا بعد ان انتبه الى عودتها بالقهوة.

وابتسم قائلا:

ـ انا دائماً اشعر بوجودك، أليس هذا مستغرباً؟ انت هادئة جداً، ولكني استطيع ان اشعر بوجودك اذا كنت في الغرفة ذاتها معي.

وعاد فاغمض عينيه، فوضعت كوينسي طبق القهوة وجلست على المقعد تسكبها في الفنجان. وخيل اليها ان جو لم يكن يعي تماماً ما كان يقول او يفعل. كان ذهنه مشتتاً الى حد بعيد واعصابه منهارة من شدة التوتر بسبب الحفلات التي احياها.

ومالت اليه لترى اذا كان مستيقظاً حتى يشرب القهوة، فوجدته يراقبها بجفون نصف مطبقة.

ومد يده ببطء وجذبها، ثم رفع وجهها اليه.

واستجابت كوينسي له، فضمها اليه في عناق حنون وقلبها يخفق بعنف. وكان جو يعانقها كمن كان على وشك ان يغلبه النعاس، مما جعلها تشعر بالراحة والأمان. ولكنها همست فجأة:

ـ كفى!

فمد يده ومنعها من الكلام، ووجدت نفسها تدفعه عنها. غير انه امسكها وشبك اصابعه باصابعها.

وشعرت كوينسي بأنها ترتعش وتنسى كل شيء. بدأت شيئاً فشيئاً تدنو من الفخ الذي لم تكن تتوقعه، لاعتقادها انه كان في حالة يرثى لها من التعب والاعياء. وفي هذه الاثناء كان جو يتمتم قائلاً:

ـ انا بحاجة اليك...

فهمست وهي تحاول الافلات منه:

ـ لا اقدر...

وفتح عينيه وحدق اليها:
ـ كوينسي!
ـ كلا!
ولم تكن تدري ماذا كانت ترفض، الا ان وجهه كان متوتراً من فرط الانفعال كوجهها.
وقالت له:
ـ اذا كنت بحاجة الى امرأة، فلماذا لا تختار واحدة من اللواتي يطرحن انفسهن عند قدميك... فانا لست معروضة في المزاد!
قالت ذلك ولملمت نفسها وابتعدت عنه، فلم يحاول ان يمنعها.
اما هي فادارت له ظهرها قائلة بصوت هادىء منخفض:
ـ الأفضل لك ان تذهب!
وسمعت تحركه وهو ينهض من مكانه بصعوبة. غير انه لم يذهب، بل وقف وقال متنهداً:
ـ آسف يا كوينسي... لم يكن يحق لي...
فقاطعته قائلة بغضب:
ـ نعم، لم يكن يحق لك!
ـ لم آت الى هنا من اجل ذلك. وانا انما فعلت ما فعلت بدافع الغريزة ومن دون تفكير... كنت بحاجة الى مكان آمن وهانىء، خصوصاً اني احن الى اهلي كلما كنت في جولة غنائية.
فلم تتفوه بكلمة، فيما كان رأسها مطأطئاً، وخصلات شعرها المجعدة مسترسلة الى الأمام.
وقال لها:
ـ ماذا فعلت بشعرك الجميل؟ لماذا قصصته؟ كان رائعاً من قبل!
فأجابته قائلة:
ـ كارمن اخذتني الى عند المزين!
ـ ولماذا سمحت لها بأن تغيرك هكذا؟
ـ بدا لي ان ذلك جزء من الصفقة. انت تسير قدماً الى هدفك،

ولا تبالي مطلقاً، بل تحاول ان تجعل اياً كان ان ينقاد اليك!
فقال متأوهاً:
- انا آسف جداً.
- كفاك ترديد هذا الكلام... فأنت لا تأسف لشيء على الاطلاق!
- ولماذا هذا الاتهام الباطل؟
وشعرت كوينسي انه اصبح خلفها، وقبل ان تتمكن من اتخاذ الحيطة، لامس عنقها من الوراء قائلاً:
- اكرر واقول انا آسف يا كوينسي، ان صدقتني او لم تصدقيني.
قال ذلك واتجه نحو الباب.
وراقبت كوينسي خطواته البطيئة وتحركات جسمه المتعب، فقالت له:
- الأفضل ان تبيت ليلتك هنا.
فالتفت اليها مندهشاً، كأنه لم يصدق ما سمعت اذناه.
وتابعت كوينسي كلامها قائلة:
- يمكنك ان تنام هنا على المقعد، وسأجلب لك ما تحتاج اليه من الأغطية.
فقال وهو يتراجع الى الوراء:
- اصحيح ما تقولين؟
- نعم، وحين تأتي ليلي، سأقابلها عند الباب حتى لا تدخل الى هنا وتزعجك.
واستلقى جو على المقعد واغمض عينيه. وحين عادت كوينسي بالغطاء كان استسلم الى الرقاد. ووقفت تتأمله بشيء من الألم في صدرها. وشعرت نحوه بعطف موجع وهي تلقي عليه الغطاء.
واتجهت نحو الباب واطفأت النور. ثم خرجت واغلقت الباب وراءها. وفيما هي في طريقها الى غرفة النوم، دخلت ليلي من الباب الخارجي، وحين شاهدتها قالت متعجبة:

ـ الا تزالين ساهرة؟ ارجوك يا كوينسي ان تقبلي اعتذاري عما جرى الليلة.

فتقدمت كوينسي ووقفت في طريقها قائلة:

ـ لا عليك... لا تدخلي غرفة الجلوس لأن جو الدونيز نائم على المقعد.

فحدقت اليها ليلي وقالت باستغراب:

ـ ماذا تقولين؟

ـ جو الدونيز نائم على مقعد في الغرفة!

فامسكتها ليلي بذراعها وسارت بها الى غرفة النوم، وبعد ان اغلقت الباب قالت لها وهي تمعن النظر اليها:

ـ اخبريني ماذا جرى؟

ـ لا شيء... اياك ان تظني يا ليلي...

فقاطعتها قائلة:

ـ لا لزوم للتمويه... الحقيقة ظاهرة في لهجتك!

ـ لا لا يا ليلي؟

ـ اذن، ماذا يفعل هنا؟

ـ كان متعباً جداً من الجولة التي قام بها، فهرب من حفلة التكريم التي اقاموها له، وجاء الينا لاعتقاده انهم لن يبحثوا عنه هنا.

فقالت ليلي باستغراب:

ـ ومن هم هؤلاء؟

ـ انهم الذين يديرون له طريقة حياته، من امثال بيلي غريفيت. وعلمت مما قاله لي جو انه قلما يحظى بوقت لنفسه، فهو يعمل ليل نهار. وفجأة شعر بالسأم والقرف، فتمرد على هذا الواقع وهرب من الحفلة.

فنظرت اليها ليلي ضاحكة وقالت بعد ان لاحظت تلعثمها:

ـ اتريدين ان تقنعيني انك انت والسيد الدونيز لم تكونا تتغازلان على مقعدي؟

فانكرت كوينسي بغضب ورفضت ان تستعيد الى ذاكرتها ما جرى بينها وبين جو من عناق كان سيستمر طويلاً لو لم تتمكن من تجميع قواها.

وقالت لها ليلي:

- والآن اخبريني الحقيقة. ماذا يجري بينكما؟ جو الدونيز نجم غنائي شهير يملك الملايين... فلماذا يلجأ اليك في وقت الضيق، وانت لا تعرفينه الا قليلاً؟

- اخبرتك الحقيقة...

قالت ذلك وتجنبت النظر الى عيني اختها. فتمتمت ليلي قائلة:

- الحياة مليئة بالمفاجآت. كنت اعتقد اني اعرفك تمام المعرفة، ولكني الآن اجد نفسي مخطئة... فالانسان يجب ان لا يحكم على الظواهر...

فقالت لها كوينسي:

- لا افهم ما تقولين. هل تناولت طعامك، ام تريدين مني ان اهيء لك بعض الطعام؟

- مارك دعانا الى العشاء في احد المطاعم قرب النهر. وكان شجاعاً بحيث اكل بقرة...

وبعد ان قهقهت ضاحكة تابعت قائلة:

- ارجو ان لا يجد صعوبة في النوم هذه الليلة.

- وانت ماذا اكلت؟

- شريحة باردة من السمك مع الخضار، لا اكثر ولا اقل، لأني اريد ان استسلم الى النوم باكراً وبملء جفنيّ.

واخذت تتثاءب من شدة العياء. وحين اوت كل منهما الى فراشها وانطفأ نور المصباح، بقيت كوينسي مستيقظة تتسمع الى تنفس اختها. وتساءلت كيف ستواجه جو في الصباح، وكيف سينظر اليها في ضوء ما حدث هذه الليلة.

ثم غلبها النعاس فنامت نوماً عميقاً الى ان ايقظتها ليلي قائلة:

ـ صباح الخير يا جميلتي النائمة. . . ظننت لوهلة اني يجب ان القي قنبلة لأوقظك. . . ها فنجان الشاي الى جانبك، والآن علي ان اسرع الى الذهاب لمتابعة التمارين هذا الصباح ايضاً.

وجلست كوينسي في فراشها وهي تتثاءب وتتمطى لبضع دقائق وهي لا تذكر ما جرى لها تلك الليلة. وما ان مدت يدها الى فنجان الشاي، حتى عاد كل شيء الى ذاكرتها فتوقفت وانفرجت شفتاها عن كلمة نطقت بها عفو الخاطر وهي «جو»؟

فأجابتها ليلي بلهجة تنم عن التساؤل والشك:

ـ خرج عندما افقت انا من النوم. انه ضيف خفيف الظل. . . طوى الشراشف والغطاء وترك الغرفة كما دخلها. وعندما تلتقينه اخبريه اني ارحب به على مقعدي كلما احتاج اليه!

وشعرت كوينسي بخيبة الأمل وهي تبتسم قائلة:

ـ اهكذا، اذن!

ورمقتها ليلي بنظرة سريعة وقالت:

ـ ترك لك هذا.

والقت اليها ظرفاً مختوماً واتجهت نحو الباب مودعة ضاحكة. وتناولت كوينسي الظرف باصابع مرتجفة وتمعنت فيه قليلاً، ثم فتحته بعصبية واخرجت ورقة صغيرة كتب عليها بخط عريض: «اشكرك على ضيافتك لي».

فعلا وجهها احمرار متوهج بعض الشيء. فمن يقرأ هذه الكتابة لا بد ان تساوره الظنون الخاطئة، لذلك سرها ان الظرف كان مختوماً.

وشربت فنجان الشاي ونهضت من فراشها، وما ان استحمت وارتدت ثيابها حتى سمعت جرس الباب. وحين اسرعت الى فتحه، وجدت نفسها وجهاً الى وجه مع برندن، فصاحت قائلة وهي لا تصدق عينيها:

ـ ماذا تفعل هنا؟

فأجابها بارتباك:

- قررت ان آخذ فرصة لبضعة ايام... هل تسمحين لي بالدخول؟

فحادت كوينسي عن طريقه، فدخل وهي تتبعه. وبدا لها انه في لندن غيره في بلدته. ففي بلدته كان، عادة، يرتدي ثياب عمل بسيطة، لا هندام فيها، اما هنا فكان يرتدي بزة فاخرة على احدث طراز.

وسألته كوينسي وقد ساورتها الظنون:

- اخبرني الحقيقة... لماذا جئت الى هنا؟

ولم يكن برندن من الذين يتهربون من قول الحقيقة، فأجابها قائلاً:

- لماذا تستغربين قدومي الى لندن كل هذا الاستغراب؟

- لأني لم اكن اتوقعه... هل ارسلك والداي؟

- يا الهي... كلا! فهما لا يعلمان حتى بقدومي.

ولم يكن يقول الحقيقة، ولكن كوينسي صدقته.

وترددت قليلاً وهي مقطبة الجبين. كانت تميل كثيراً الى برندن، غير ان لحاقه بها الى لندن لم يرق لها. فلعله جاء ليراقب حركاتها وسكناتها. فقالت له بلهجة جافة:

- اذا كنت جئت لتحميني من الذئاب، فعليك ان تعود في اول قطار الى حيث اتيت... فلا خطر علي من اي كان!

- هل هذا صحيح؟ اظن انك لا تدركين حتى انك في خطر... انت غير مؤهلة لأن تتصدي لرجل مثل جو الدونيز يا كوينسي، فهو رجل خبير عركه الدهر وعلمه ان ينال كلما يريد.

وخامرها الشك في صدق ما قاله برندن، وهمت بان تخبره بذلك لو لم تتذكر كيف اغراها جو الدونيز في الليلة الماضية بمهارة فائقة، حتى انها كادت تستسلم اليه بكل كيانها.

فقالت لبرندن بحزم:

ـ انا قادرة على التصدي له. سابقى هنا يومين آخرين، ولؤكد لك اني اتولى اموري على خير ما يرام.

فلاحت ابتسامة باهتة على شفتي برندن وهو يقول لها:

ـ يبدو لي ان كلامك هذا اشبه بخطاب مدروس!

ـ لا تكن سخيفاً.

فاضاف برندن قوله:

ـ انت كمن يصفر في الظلام... والدك قلق عليك.

ـ والدي؟ وهل اخبرك بذلك؟

ـ كلما تلفنت له كان يزداد قلقاً عليك. ولم تكن هنالك حاجة الى ان يخبرني بذلك، لأنه كان بادياً على وجهه.

اتجهت كوينسي نحو النافذة وتطلعت الى الشارع المزدحم، ثم قالت:

ـ ربما لأنه حسب اني سئمت لعب هذا الدور الذي فرض علي. فمحررة المجلة لم تتوقف لحظة عن التجول بي في ارجاء لندن، حتى كرهت حياتي...

فقال لها:

ـ ارى انك قصصت شعرك، وهو جميل هكذا ويعجبني.

ـ شكراً.

قالت ذلك والتفتت اليه مبتسمة. وتابعت كلامها قائلة:

ـ اقدر لك تكبدك مشقة المجيء لحمايتي، مع اني لست بحاجة الى حماية.

واشرق وجهه لهذا الكلام وقال لها:

ـ الا تتطوعين بمساعدتي في التفرج على لندن؟ ثم نتناول طعام الغداء في مطعم ما.

فترددت في الرد على طلبه. وحدقت الى المقعد وراءه، فتصلبت ملامح وجهها حين تذكرت انها في الليلة الماضية كادت تعطي جو الدونيز ما اراده منها. على انها لم تكن من السذاجة بحيث لم تدرك انه

كان يتلاعب بعواطفها، مدعياً العياء الشديد بقصد اغرائها. وتطلعت الى اليومين القادمين بذعر شديد. ذلك لأن الدونيز فاز عليها في الليلة الماضية، ولا بد له من ان يستغل هذا الفوز في ما سيدور بينهما من صراع ينتهي بها الى الاستسلام التام اليه. وقد يكون برندن على حقٍ في اعتقاده ان جو الدونيز كان رجلاً لا يشفق ولا يرحم، خصوصاً انها لم تعرفه الا قليلاً ولا تستطيع ان تتأكد من شيء.

ولاحظ برندن هذه الشكوك في نظراتها، فقال لها:

- ارجوكِ، يا كوينسي، ان تلبي طلبي.

- حسناً... اين تريد ان تذهب؟

- انت دليلتي. وعلى كل حال، فالطقس جميل وقد يكون من الممتع ان نقوم بنزهة في النهر.

- لم اقم بمثل هذه النزهة من قبل... فهيا بنا!

وحين غادرا الشقة، رأت ان برندن لم يكن يغالي في وصف روعة الطقس. كان ذلك الصباح مشرقاً، والسماء صافية، والنسيم عليلاً، والاشجار على ضفاف النهر باسقة وارفة. وسارا على الاقدام الى حيث يستأجران مركباً بخارياً، فقال لها برندن وهما في الطريق:

- ماذا فعلت منذ قدومك الى هنا؟

فأخبرته وانتهت الى القول:

- كنت اشعر كم انا حمقاء!

- لا استغرب ذلك، فهم يستغلونك.

- لست حمقاء الى هذا الحد، لأنني كنت ادرك انهم يستغلونني. انا غاضبة على نفسي بقبولي المجيء الى هنا، ولكن ما العمل؟ لا استطيع ان اتراجع ولم يبق امامي سوى يومين.

ووصلا الى الميناء فاشتريا بطاقتين وصعدا الى احد المراكب المتأهبة للنزهة. ومع ان الطقس كان مشرقاً، الا ان مياه النهر لم تكن هادئة. وجلس برندن وكوينسي على ظهر المركب، وهما يمسكان بالقضبان

الحديدية التي تزنر المركب ويراقبان تموجات المياه في النهر الجاري. وكانت ابنية لندن العالية تظهر على جانبي النهر، وهي من الشهرة التاريخية بحيث لم يكن من حاجة الى دليل للتعريف بها

وقال لها برندن:

ـ هل ذهبت الى مشاهدة برج لندن؟

ـ نعم، مع كارمن ليستر. وشاهدت السجن هناك ايضاً، حيث كانوا في القرون السالفة يعذبون السجناء تعذيباً لا يصدق. ولم استطع ان اتحمل البقاء الا قليلاً، لكثرة ما شعرت به من الضيق.

وعاد المركب الى الميناء بعد نحو نصف ساعة. وكانت كوينسي ترتعش تحت معطفها من برودة الريح التي كانت تهب من النهر. ونزلا الى الضفة وسارا في اتجاه المدينة، وهناك تناولا طعام الغداء في احد المطاعم الشعبية على مقربة من ساحة الطرف الأغرّ. وسألته كوينسي، وهما يتناولان القهوة بعد الطعام:

ـ اين تقيم يا برندن؟

ـ في فندق صغير هادىء في شارع ريجنت بارك.

ونظرت كوينسي الى ساعتها وهي عابسة وقالت:

ـ يجب ان اعود الى الشقة، لعل احداً يكون في حاجة الي... كارمن ليستر قالت انها ستتلفن لي بعد الظهر وتخبرني عما تقرر من تعليمات.

وخرجا من المطعم، فنادى برندن سيارة تاكسي كانت تعبر من هناك، وصعدت كوينسي بسرعة يتبعها برندن. وبعد نحو خمس دقائق وصلت بهما السيارة الى الشقة، فتوقفت ونزل منها برندن اولاً، ثم ساعد كوينسي على النزول بالقاء ذراعه حول خصرها. ولما دفع الاجرة للسائق التفت اليها بوجه متجهم وقال:

ـ ارجو ان تكوني بخير.

ـ نعم، شكراً. كانت النزهة ممتعة حقاً.

ـ هل لي ان ارافقك الى الشقة؟

- لا لزوم لذلك يا برندن.

ولكنه اصر، فسارا نحو الشقة، وهو يطوق خصرها بذراعه. وفيما هما في الطريق، فوجئا بجو الدونيز واقفاً ينتظر.

فقال لكوينسي وهو يرغي ويزبد:

- اخبريني... اين كنت طول هذا النهار؟

٥ - لا شك انه اغرب رجل عرفته في حياتها. وهي لا تستطيع الا التفكير فيه. ومع ذلك، فهي لا تعرف عنه اليوم اكثر مما كانت تعرف لحظة وقعت عيناها على وجهه...

وانعقد لسان كورينسي، للحظة، في وجه هذا السؤال الغاضب، ثم لم تلبث ان استولى عليها الغضب هي الأخرى. فتطاير الشرر من عينيها وهي تحدق اليه صارخة له:

- كيف تجرؤ على رفع صوتك علي؟ من انت حتى يحق لك ان تفعل ذلك؟ انا حرة في تصرفاتي، وليس لأحد سلطة علي. واذا كان لديك اي اعتراض، فأنا مستعدة ان احزم حقائبي في الحال واعود الى بيتي... افهمت يا سيد الدونيز؟

وكانت الكلمات تزدحم في حلقها وعلى لسانها وتخرج من بين شفتيها كطلقات الرصاص، حتى صعب عليه فهمها.

فتجهم وجهه اكثر مما كان متجهماً من قبل، وصاح بها:

- اياك ان تصرخي علي مثل هذا الصراخ يا كوينسي!
فأجابت بعصبية:
- اذا كنت انت قادراً على الصراخ، فأنا كذلك.
وخطا خطوة الى الأمام وهو يرتجف من شدة الغيظ وقال:
- والآن اسمعي...
فقاطعه برندن قائلاً، وقد تصدى له بكتفيه العريضتين:
- اسمع انت يا سيد الدونيز... اذا اسأت التصرف نحوها، فحسابك يكون معي انا ايضاً.
وسمعت كوينسي صوت جو يستعيد هدوءه فجأة، فدب فيها الذعر. ذلك انها لمست في هدوئه زمجرة النمر المتحفز للانقضاض على فريسته التي صادف مرورها في طريقه.
وقال له برندن:
- كوينسي ليست مدينة لك بشيء... وانت لا تملكها!
فأجابه جو بتلك النبرة الهادئة ذاتها:
- وهل تملكها انت؟
فتردد برندن في الاجابة، ثم قال:
- ان كنت تعني بسؤالك إذا كانت حبيبتي، فجوابي نعم... مع ان ذلك امر لا يعنيك في شيء.
واخذت كوينسي تضطرب، فتنفست الصعداء وتأهبت لنكران ذلك، غير ان جو لم يمهلها الوقت الكافي لاختيار كلماتها فقال:
- أهكذا اذن؟
خرجت هذه الكلمات من فمه بلهجة جعلت كوينسي تتساءل ماذا كان يخفي وراءها في رأسه. ولم تكن ترى وجهه، لأن برندن كان واقفاً بينهما، فمالت قليلاً لتلقي عليه نظرة سريعة، فرأته يحدق الى برندن بعداء. ثم التفت اليها حين رآها مالت ورمقها بنظرة تنم عن امتعاضه وازدرائه.
وقالت له:

ـ ماذا كنت تريد مني؟

ـ هيأت كارمن بعض الصور الدعائية. وكنت اتمرن في القاعة طول الصباح، فرأت ان من المفيد وجودك هناك. ولكننا لم ننجح في العثور عليك. حتى اختك لم تكن تعلم بمكان وجودك.

ـ غادرت البيت منذ وصول برندن. ولم اكن اتوقع...

فقاطعها برندن قائلاً:

ـ وصلت من دون سابق انذار. ولم يخطر ببالنا ان احداً سيقلق عليها.

قال ذلك واحاطها بذراعيه كمن يحميها من خطر مداهم. وايدت كوينسي كلامه قائلة:

ـ نعم، هذا صحيح. كارمن كانت اخبرتني انها ستتلفن لي هذا المساء، فحسبت اني حرة في تصرفاتي طيلة الصباح. وحين وصل برندن اقترحت عليه القيام بنزهة قرب النهر.

فقال لها جو:

ـ انت هنا للقيام بدعاية لنا. وتعهدنا لوالدك بأن نرعاك ونهتم بك، فماذا تظنين كان شعورنا عندما اختفيت ولم تتركي اي اثر؟

ـ انا آسفة، لم انظر الى الأمر من هذه الناحية.

ـ كان عليك ان تتركي خبراً عن مكان وجودك... فالذهاب هكذا وحدك هو عمل في منتهى الحماقة.

فسأله برندن بفروغ صبر:

ـ ما بك تعمل من الحبة قبة؟

فالتفت اليه جو وقال متحدياً:

ـ وانت من طلب رأيك في هذا الموضوع؟

فأجابه برندن باللهجة ذاتها:

ـ ابدي رأيي ساعة انا اشاء!

ـ ليس هذا من شأنك. دع آراءك لنفسك!

ـ لا تخاطبني هكذا... والا...

ـ والا ماذا؟

ـ والا كسرت انفك...

فابتسم جو واجابه ساخراً:

ـ هذا كلام فارغ!

فما كان من برندن الا ان هجم عليه بقبضة يده، ولكن جو حاد عن الضربة بخفة وبراعة، مما جعل خصمه يتعثر ويهوي الى الوراء. وارسلت كوينسي صرخة واسرعت اليه. وانفتح باب الشقة التي في الطبقة العليا وظهرت منها سيدة متقدمة في السن وراحت تنظر الى ما يجري في الشقة تحتها.

وصاحت كوينسي، موجهة الكلام الى جو:

ـ يا لك من وحش... ها الدم ينزف من رأسه!

ونهض برندن وهو يضع يده على الجرح النازف في رأسه، فيما اجابها جو قائلاً:

ـ ماذا كان علي ان افعل غير ذلك؟ اتريدينني ان اقف مكتوف اليدين حتى يهشم وجهي بقبضته؟

فبادرته كوينسي الى القول:

ـ يا ليته فعل ذلك!

ـ يؤسفني اني لست ممن يجدون لذة في تعذيب انفسهم.

ـ ولكني اعلم ما انت! انت رجل فظ... تعلم انك اقوى من برندن وفي وسعك ان تصرعه واحدى يديك مربوطة وراء ظهرك.

قالت ذلك ونظرت الى وجه برندن، فاذا هو شاحب ذليل، فادركت انها اهانت رجولته بكلامها ذاك.

واكتفى برندن بالقول لها:

ـ شكراً.

ـ برندن... لم اقصد...

وتوقفت عن الكلام حين اتجه برندن نحو الباب. وركضت وراءه وهي تذوب ندماً على الملاحظة التي خرجت من فمها عفو الخاطر.

وسألها جو قائلاً، وهو يمسك بذراعها:
- اين انت ذاهبة؟
- يجب ان اكلم برندن واعتذر له عما بدر مني... فهو مسكين ومتألم جداً.
- سيتغلب على ألمه ومسكنته.
قال لها جو هذا الكلام وهو يشدها الى الوراء، فصاحت به:
- دعني، ارجوك!
- كلا. اريد ان احدثك بشيء لا يمكن تأجيله... ويمكنك ان تسكبي دموع الحزن والشفقة على برندن في وقت آخر!
فصاحت به قائلة:
- لا تتلاعب بي...
وجرى شجار كانت المرأة المسنة في الطبقة العليا تبتهج في الفرج عليه. وسمعت جو يقول لكوينسي:
- اجلسي في مكانك!
وفي هذه الاثناء وقع مفتاح الشقة من جيب سترة كوينسي، فالتقطه جو وهو يمسك بها. ودفعها نحو السلم، فصعداه متجهين نحو الشقة. وفتحها جو واغلق الباب وراءهما، فصاحت به كوينسي:
- يا لها من وقاحة! ماذا تريد مني!
فتطلع اليها بنظرة تنم عن السخرية، فتذكرت كوينسي ما جرى بينهما في الليلة الفائتة، مما زاد في استيائها وندمها على ما ارتكبته من حماقة. ففي تلك الليلة وثقت به وصدقته في ما ابداه من نيات حسنة تبين لها في ما بعد انها لم تكن الا لخدمة مآربه.
وقال لها:
- عندما تذهبين الى لندن لتقومي بعملك الاعلامي من اجلنا، لا اريد ان اراك تتجولين وحدك هناك... يجب ان نعرف اين انت في كل دقيقة من النهار والليل. واهم من هذا كله، عليك ان تتخلصي

من هذا الصديق العاشق.

فأثارها هذا الطلب، وخصوصاً الأخير، فأجابت بلهجة حازمة:

- لا حق لك...

غير انه قاطعها قائلاً:

- لي كل الحق. فليس من مصلحة عملي ان يظهر في الصحف ان لك حبيباً يرافقك، بينما يكون من المفترض ان تكوني معجبة بي الى حد الوله.

فتضاعف غيظها من هذا الكلام وقالت بحدة:

- اذا كان هذا هو الانطباع الذي تحاول جماعتك خلقه في اذهان الجمهور، فما عليهم الا ان يذهبوا الى الجحيم... فانا لست مغرمة بك على الاطلاق.

فقال لها متسائلاً بهدوء:

- اصحيح ما تقولين؟

فتجاهلت كلامه وتابعت قائلة:

- وانا لا اريد ان تنشر مثل هذه الأكاذيب في مجلة كارمن. وسأذهب الآن في الحال الى حزم حقائبي، وعليك ان تجد فتاة اخرى على استعداد للعب هذا الدور السخيف. وليس هذا صعباً عليك، نظراً لآلاف المعجبات المولهات بك!

فأجابها بلهجة باردة:

- فات الوقت. الدعاية اصبحت في اوجها... اما كنت تقرأين ما نشر عنك في الصحف ووسائل الاعلام؟

فحدقت اليه مندهشة، فادرك انها لم تكن تعلم شيئاً من ذلك، فتابع قائلاً:

- يبدو واضحاً انك لم تقرأي ولم تسمعي شيئاً مما كتبته كارمن عنك، بحيث اصبحت حديث الساعة في عالم الغناء، من اقصى الدنيا الى اقصاها. وبدأ ذلك من اللحظة التي شاهدوا فيها صورتك الأولى، مما يدل على ان كارمن كانت على صواب حين رأت فيك

الضالة المنشودة. ومن حسن الحظ انك اخترت الاقامة عند اختك، فاستحال على رجال الصحافة ان يجدوك. وهكذا اضطروا الى الاعتماد على كارمن لتزويدهم بالمعلومات عنك، وبذلك اتيح لها ان تزودهم فقط بالمعلومات التي تريدها ان تظهر في الصحف...

ـ اي نوع من المعلومات؟

طرحت هذا السؤال وهي في ذهول تحت تأثير ما سمعته. فماذا يا ترى نشرت الصحف عنها؟ فلا كارمن اخبرتها بشيء، ولا اختها ليلي ايضاً، مع ان ليلي لا بد ان تكون على علم بما يجري، الا اذا كانت مأخوذة بالتمارين التي كانت تمارسها بكثرة.

واجابها جو قائلاً:

ـ هي معلومات عن عائلتك، وحياتك العائلية، ونشأتك الاجتماعية، ومبلغ ولعك بأغاني، وابتهاجك الشديد بلقائي والتعرف الي.

ومالت كوينسي عنه ودخلت غرفة الجلوس بخطوات وئيدة، حيث سارعت الى الجلوس قبل ان تخونها ركبتاها. وتبعها جو ووقف يتأملها، وهو على مسافة قدم منها.

وصاحت به غاضبة:

ـ كيف تطيق ان تسمح لهم بنشر قصص من هذا النوع؟ فأنت بذلك سخرت بي...

وتذكرت انه سخر بها ايضاً في امور شتى. كان يعيش في عالم مصطنع، والأضواء تحيط به من كل جانب، فما كان منها الا ان دخلت بسذاجة الى هذا العالم. ولم تدرك في البداية ان ردة فعلها، على الرغم من صدقها وعفويتها، لم تمنع جو الدونيز عن الاحتفاظ بوعيه الكامل بأنه تحت المراقبة الدائمة، وانه يمثل على مسرح عالمي. فالواقع ان كل ما كان يفعله هو تمثيل لا اكثر ولا اقل، ولذلك ساور كوينسي الشك في انه يقول او يفعل شيئاً حقيقياً صادقاً لا زيف فيه.

وقطب جو حاجبيه وقال لها غاضباً:

- يا لك من حمقاء! لم ننشر عنك اي شيء يسيء اليك، بل بالعكس، كل ما نشر يظهرك بمظهر يجعلك معشوقة الجماهير!

فأجابته بحدة:

- كل هذا كذب وافتراء... انه مزيف مثلك!

- شكراً... اهذا رأيك فيّ؟

- نعم، وهو رأي مصيب... فأنت لست رجلاً حقيقياً على الاطلاق، بل تمثالاً جميلاً من الجص صنعته يد الدعاية...

ولم يرق له هذا الكلام، فتصلبت ملامح وجهه وهو يبذل جهده لضبط اعصابه وقال:

- انا لست تمثالاً من الجص الآن...

قال ذلك واقبل عليها والقى يديه على كتفيها ورفعها عن المقعد، فاخذت تصيح وتحاول الافلات منه. ولكنه اسكتها وقال لها:

- قلت يا كوينسي ما تريدين، والآن جاء دوري وعليك ان تسمعي جيداً. هل تظنين، فعلاً، اني احب كل هذه الدعاية لي، وحرماني من حياتي الخصوصية، ومداهمات المعجبات بي؟ واذا كنت ابذل جهداً في سبيل ذلك، فلانها من متطلبات الصفقة التي عقدتها. ما اريد ان افعله هو ان اغني، ومن اجل ذلك اتعب واشقى. واذكر نفسي دائماً ان الأغاني التي انشدها هي للمعجبات والمعجبين، فعلي ان احتملهم واتفهم موقفهم مني، كما ان علي ان اعطيهم ما يصرفون لأجله، وهذا ليس بالسهولة التي ربما تظنينها. فالحياة قد تكون قاسية بالنسبة الى بعضهم في هذه الأيام. فكم عدد العاطلين عن العمل هنا وفي الولايات المتحدة الأميركية؟ اذا كانت الحياة قائمة اربع وعشرين ساعة في اليوم، وسبعة ايام في الاسبوع، واثنين وخمسين اسبوعاً في السنة، فلا عجب ان يحتاج الانسان الى قليل من الهناء بين الحين والآخر. وانا فخور بان اغانيّ تجلب هذا القليل من الهناء. ولولا نعمة الله علي، فكنت واحداً من هؤلاء الذين يفتشون عن عمل ولا يجدونه. فانا، لذلك، مدين للعالم بما انا فيه، وبحقهم في ما استطيع

ان امنحهم اياه.

وكانت كوينسي، في هذه الاثناء، جامدة كالدمية تصغي الى كلامه بتأثر بالغ. واسترعى انتباهها اكثر ما يكون عمق نظراته ونبرة صوته الرصينة الجادة. فهو لم يكن يمثل الآن، بل يعرب عن مشاعره وافكاره الحقيقية.

وتابع قائلاً لها:

- اخبرتك ان امي اسبانية. هل تعلمين متى جاءت الى الولايات المتحدة؟ جاءت في العام ١٩٣٩.

- ١٩٣٩؟

- نعم، في العام الذي اندلعت فيه الحرب العالمية الثانية في اوروبا. وكانت عائلة والدتي تعيش جحيم تلك الحرب التي قتل فيها اثنان من اخوتها. وكان لوالدتي عمة في كاليفورنيا، فأرسلت اليها تذكرة سفر الى اميركا. وهناك عملت في مزرعة عمتها اسابيع وشهوراً، الى ان مات زوج عمتها، فبيعت المزرعة واصبحت والدتي عاطلة عن العمل ولم تستطع الحصول على عمل الا بعد مضي فترة طويلة. وفي هذه الاثناء عرفت الجوع والضاقة يا كوينسي. ويعلم الله ماذا كان حل بها لو لم تتعرف الى والدي وتتزوجه. ولكن والدتي لا تنسى السنتين الأوليين اللتين قضتهما في اميركا. كانت وحيدة وخائفة، حتى انها همت بالرجوع على اعقابها الى اسبانيا. وربما كانت فعلت لو كان معها ثمن تذكرة السفر.

فقالت كوينسي:

- هذا محزن حقاً... كم كان لها من العمر آنئذ؟

- سبع عشرة سنة حين وصلت الى اميركا، وعشرون سنة حين تزوجت والدي. وربتنا والدتي على التذكر دائماً ان ما تعطيه للحياة هو المهم، لا ما تأخذه منها. فاذا كنت محظوظاً، كان لك نصيب من هذا الحظ. وكانت تردد دائماً على مسامعنا قولها: اذا وقعت تفاحة عن الشجرة بين يديك، اعط نصفها الى شخص آخر. لا تكن

جشعاً، بل حامداً وشاكراً. واظن ان والدتي توقعت ان ترجع الأيام القاسية القديمة، وخشيت ان لا نكون مستعدين لمواجهتها من دون سابق انذار.

- وهل كان لك اخوة واخوات؟

- اختان واخ.

- اكبر او اصغر منك سناً؟

- انا اكبرهم سناً، ثم اختي جوانا المتزوجة ولها طفلة، وماريا التي تعمل في حقل الرسم التجاري في سان فرنسيسكو، وطوني الذي يساعد والدي في بستان البرتقال. وانفقت كثيراً من المال الذي جنيته في البستان، فاتسعت مساحته وتحسن محصوله. وحين اعتزل الغناء، سأعمل فيه بقية عمري.

واثار كلامه اهتمام كوينسي وشعرت انها تحب عائلته. وفوجئت بجرس الباب يدق، فقفزت في مكانها، فيما صعد الاحمرار الى وجه جو، وقال لها:

- اذا كان الطارق صديقك، فسأصرعه هذه المرة... وانا جاد فيما اقول يا كوينسي. نحن لا نطيق وجوده على الاطلاق.

قال ذلك وخرج من الغرفة تتبعه كوينسي وهي تقول:

- لا تضرب برندن مرة اخرى!

ولكنه حين فتح الباب وجد كارمن ليستر على العتبة، فحدقت اليه مندهشة وقالت له بلهجة ذات مغزى:

- ما لي أراك هنا؟

وسارت الى الأمام وهي ترمق كوينسي بنظرة فاحصة. فعلا الاحمرار وجنتيها، فيما قالت لها كارمن:

- ارى ان جو وجدك بعد طول عناء... خيل الينا لوهلة انك هربت راجعة الى بيت اهلك... ورجاؤنا ان لا تختفي هكذا مرة اخرى يا عزيزتي.

واستاءت كوينسي من هذه اللهجة المتسلطة وهمت ان تجيبها

ولكن جو سبقها الى القول:
- هل اجريت تعديلاً في خططك يا كارمن؟
- سيأتي المصور فيما بعد.
فقالت لها كوينسي متسائلة:
- لماذا؟
- اريد بعض الصور، لك ولجو، قبل ان يسرع جو الى التمرين. حاولي ان تفهمي جيداً يا عزيزتي... جو رجل مشغول جداً، وعليك ان تلزمي مكانك وتكوني في متناول اليد حالما نحتاج اليك!
فقال جو:
- هي تفهم جيداً كل شيء.
والتفت الى كوينسي قائلاً:
- هل لي بفنجان من القهوة يا كوينسي؟ ارجوك.
- بكل سرور.
وتركتهما واتجهت نحو المطبخ. وفيما هي تغلي الماء، اغلق جو باب المطبخ، فتساءلت كوينسي ماذا يا ترى يقول لكارمن ولا يريد ان تسمعه هي؟
وفيما هي كذلك، سمعت صوت كارمن خلف الباب المغلق، واذا بها تقول لجو:
- ماذا عن هذه الفتاة الصغيرة الآنسة جونز؟ هل تحاول ان تخفف عنها الشعور بالغربة يا حبيبي؟ ما ادهاك، اذن! داوم على ذلك الى ان لا نعود بحاجة اليها، أليس كذلك؟
فاتجهت كوينسي الى غرفة النوم ووقفت هناك وهي تعض شفتها السفلى لئلا تنفجر بالبكاء. اذن، هل هذا ما كان يفعله؟ ولم تفاجأ بذلك لأنها كانت دائماً تشعر به، هي نفسها. وحارت كيف تسبر غور جو لتعرف حقيقته. فأحياناً كانت عيناه السوداوان تشعان بالمشاعر الصادقة، خصوصاً حين يتحدث عن عائلته وأغانيه، بحيث لم تتمالك من تصديقه. كان في صوته ووجهه ما يحملها على الاقتناع

به . . . ولكن كيف تفسر ما جرى تلك الليلة، حين اقتنعت بما ظهر عليه من ارهاق لتجد نفسها ضحية ما مارسه عليها من فنون الاغراء والمراودة على النفس؟ لا شك انه اغرب رجل عرفته في حياتها، وهي لا تستطيع الا التفكير فيه، حتى ان الخيال يشرد بها احياناً عندما تكون وحدها، فتحن اليه وتشتاق على الرغم منها. ومع ذلك، فهي لا تعرف عنه اليوم اكثر مما كانت تعرف لحظة وقعت عيناها على وجهه في المجلة.

نعم، اخبرها الكثير عنه وعن حياته، ولكن كل ما اخبرها به يثير علامة السؤال. هل هو صادق ومخلص؟ ام انه يمثل دوراً يهدف من ورائه الى اغرائها بتصديقه والتعلق به؟

وسمعت القهوة تغلي في المطبخ، فهرعت اليها تنزلها عن النار. ثم حملتها على طبق مع الفناجين وعادت بها الى غرفة الجلوس، فوجدت كارمن جالسة، وعلى ركبتيها كدسة من الأوراق، فيما كان جو واقفاً ينظر من النافذة، فاستدار نحوها وتناول طبق القهوة منها وهي تتأمل في وجهه، لعلها تجد فيه دليلاً يساعدها على ولوج دخائل نفسه، ولكن عبثاً. فملامحه احتفظت بالكتمان عما في باطنه من اسرار.

وسكبت له فنجان قهوة ووقفت تتحدث الى كارمن، فيما هو يشربها. ثم وضع الفنجان وتنهد وتمطى علامة التعب والعياء، وقال:

- يجب ان اعود مسرعاً.

فقالت له كارمن راجية:

- انتظر خمس دقائق لقدوم المصور يا جو.

- اذا لم يصل الى هنا بعد ثلاث دقائق، فلن يجدني.

ولم يكد ينهي كلامه حتى دق جرس الباب، فقفزت كارمن من مكانها قائلة:

- لا بد ان يكون المصور.

وسارت الى الباب تفتحه، ثم عادت برفقة المصور، فقال جو:

ـ لدي خمس دقائق فقط، فاسرع قدر المستطاع.
وجال المصور بنظره في ارجاء الغرفة وقال:
ـ هل هذا كل الخلفية التي سأستعملها؟
فرد عليه جو بحزم:
ـ نعم، وعليك ان تكتفي بها.
واشار المصور الى المقعد المستطيل وقال لكوينسي وجو:
ـ ارجوكما ان تجلسا ... معاً.
فأطاعاه. وشعرت كوينسي بتوتر في اعصابها ولكنها افتعلت الابتسام، واما جو فواجه آلة التصوير وذهنه شارد في مكان آخر.
ثم اشار المصور عليهما بالوقوف تجاه النافذة، ثم قرب الموقدة، وهو يلتمس منهما ان يحاولا الابتسام ما امكن.
ـ هذا يكفي. علي بالانصراف الآن.
واتجه مسرعاً نحو الباب تتبعه كارمن. ولزمت كوينسي الصمت، فيما عمد المصور الى التقاط الصور لها من كل جانب.
وعادت كارمن وحدها وقالت للمصور:
ـ حسناً يا فل. شكراً. هذا يكفي.
ثم تناولت حقيبة يدها ولملمت اوراقها وهي تقول لكوينسي:
ـ تذكري اننا نريد الاتصال بك في اية لحظة، فلا تغادري هذا المكان، من دون علم او خبر، كما فعلت اليوم.
وما ان ودعتها وخرجت، حتى القت بنفسها على مقعد وهي تتنهد. وشعرت ان ذهنها مشوش وافكارها مرتبكة، ولكن شيئاً واحداً كانت متأكدة منه، وهو انها حالما تعود الى بيت والديها ستمسك باذن اخيها وتخبره بحقيقة رأيها فيه وفي افكاره السخيفة. فلو لم يملأ قسيمة المسابقة باسمها، لما كانت في الحال التي هي عليه الآن.
وبعد مرور نحو ساعة، تلفن لها برندن فاخذت تعتذر له، ولكنه اصر على ان اللوم كله يقع على جو، وقال:

ـ فقدت اعصابي تماماً حين سمعت كلامك، والآن حين هدأت ادركت انك كنت على صواب. فالدونيز اضخم مني واقوى، فكيف كان لي ان اتغلب عليه؟

فضحكت كوينسي قائلة:

ـ يسرني انك غفرت لي، لأن الحق معك اذا جرحت كبرياؤك!

ـ لم تجرح كبريائي بقدر ما لمت نفسي على اعتدادي بمقدرتي على التغلب عليه. ولكني تعلمت الآن كيف افعل، اذا تصديت له مرة ثانية. فسأهجم عليه من الوراء واصرعه بضربة على قمة رأسه!

فقهقهت ضاحكة وهي معجبة بقدرته على التهكم على نفسه، من دون ادعاء ولا عجرفة. وقال لها برندن:

ـ ومهما يكن، فأرجو ان تتجنبيه يا كوينسي.

ـ أتظنني حمقاء الى هذا الحد يا برندن؟

ـ لا، ولكنه رجل جذاب جداً وانت لست خبيرة بشؤون الدنيا. فقد تنخدعين ويلحقك اذى. وانا لا اريد لك ذلك، يا كوينسي، وانت تعرفين شعوري نحوك.

ـ ارجوك، يا برندن، ان تعترف لي بشيء واحد على الأقل، وهو بعض الذكاء. انت تعرف اني لم اكن اريد المجيء الى لندن ولعب هذا الدور السخيف، ولكن ما حيلتي حين اقحمني فيه بوبي اقحاماً لا مهرب لي منه، خصوصاً اني شعرت بمسؤوليتي في ذلك. فأخي هو الذي ملأ تلك القسيمة، وحين علموا بحقيقة الأمر كان الأوان فات عليهم لاعلانها. فهم على حق في الاستمرار بمشروعهم لئلا يلحقهم الضرر والخسارة الفادحة... ولكن ثق، يا برندن، اني اراعي سلوكي، فلا اجعل البهرجة والشهرة تؤثران علي...

فقال لها برندن وفي صوته نبرة الشك:

ـ ارجو ذلك يا كوينسي...

ولكن كوينسي لم تلمه على شكه، فهي كذلك غير مقتنعة تماماً بكلامها. فقد لا تؤثر عليها البهرجة والشهرة، ولكن هل هي واثقة

إن جو الدونيز لا يؤثر عليها ايضاً؟
وقالت له:
- هم لا يريدونك في لندن يا برندن.
فثارت ثائرته وصاح قائلاً:
- لا يهمني ما يريدون... وانت تقصدين جو الدونيز، اليس كذلك؟ انا رأيت ردة فعله حين وجدني هنا، فتمنى لو انه يهشمني بضربة قاضية. انه رجل شرير حقاً، ولا احب الطريقة التي ينظر بها اليك.
وتساءلت كوينسي كيف ينظر اليها؟ ولكنها امتنعت عن الاستعلام عن ذلك من برندن.
وتابع برندن كلامه قائلا:
- تذكري انه اعتاد ان يرى النساء عند قدميه... وهو لا يوفر وسيلة للوصول الى مآربه، والدليل صعوده الى القمة. فلو لم يكن متعسفاً ظالماً لما تمكن من ذلك، خصوصاً في عالم الغناء المحفوف بالمخاطر والصعوبات اكثر من سواه.
فقالت له كوينسي:
- هو لا يريدني...
فبادرها بالقول:
- لا تكوني ساذجة يا كوينسي... وعليك ان تعلمي ان الرجال غير النساء، فهم يستطيعون التفريق بين اللهو والحب، بينما النساء لا يستطعن. فهن يتورطن في كل علاقة يقمنها مع الرجال. فالرجال على استعداد لمغازلة اية فتاة جميلة يلتقونها، وخصوصاً امثال جو الدونيز... وكل ما اطلبه منك هو ان لا تدعيه يخدعك.
- اعدك ان لا ادعه يخدعني!
وسكت برندن قليلاً، ثم قال لها:
- اتريدينني ان ابتعد عنك... او ان اغادر لندن؟
- من السخافة مغادرة لندن، بعد كل هذا الذي تكبدته للمجيء

اليها. فالأفضل ان تتمتع ببضعة ايام من اللهو هنا.

- ولكني لن اراك!

- نعم، لأني سأكون منشغلة جداً. ولا تنس اني عائدة الى البيت بعد يومين.

- حسناً يا كوينسي... سأراك هناك بعد عودتك.

قال ذلك واقفل الخط، فوضعت كوينسي السماعة بتردد وهي تتنفس الصعداء. فالحديث مع برندن يجعلها تدرك ان رحلتها هذه الى لندن احدثت فيها تغييراً جذرياً، حتى انها لم تعد الفتاة نفسها التي التقت جو الدونيز لأول مرة منذ بضعة ايام. ففي هذه الفترة القصيرة جرى الكثير وبسرعة، مما ترك ذهنها مشوشاً لا يستقر على حال. وهي لم تعد قادرة على الشعور تماماً بما يحدث لها ويجري حولها. كل ما تعرفه هو انها تغيرت، ولكن ليس الى درجة تسمح لها بان تدع جو الدونيز يستغلها، كما يظن برندن، وهو على حق في هذا الظن الذي يساورها هي ايضاً. على ان ذلك لن يكون، وستوضح موقفها هذا كل الوضوح لجو الدونيز في اليومين الباقيين من مدة اقامتها في لندن.

٦ - لم تكن تريد لهذا الحلم ان ينتهي. فهو الشيء الآسر الوحيد الذي ستعود به من رحلتها هذه وتحتفظ به الى الأبد!

لم يخطر لكوينسي انها ستحضر الحفلة الكبرى التي يقيمها جو في لندن. كانت تعرف ان التذاكر كلها بيعت في اليوم الأول من عرضها في شباك التذاكر، حتى ان اسعارها ضوعفت في السوق السوداء. ولما اخبرتها كارمن انها ستحضر الحفلة، تحمست كثيراً وانعقد لسانها لوهلة من شدة الفرح. ولاحظت كارمن ذلك فقالت لها:

- يا لك من فتاة محظوظة!

وكانت كارمن ستحضر الحفلة ايضاً، ولكنها لم تشعر بالحماسة ذاتها التي شعرت بها كوينسي، وما ذلك الا لأنها اعتادت حضور الحفلات الكبرى التي من هذا النوع.

واضافت قائلة لكوينسي:
- كل اصدقائك سيحسدونك على حظك السعيد!
واعتقدت كوينسي انها ستجلس بين النظارة، ولكنها حين وصلت الى القاعة قبل بدء الحفلة ببضع ساعات، فوجئت بانها ستجلس وراء خشبة المسرح. فقالت لكارمن:
- لماذا؟ هل بيعت جميع التذاكر؟
فابتسمت بخبث واجابتها قائلة:
- نعم، ولكن هذا ليس السبب. فالسبب هو ان وجهك سيتعرف اليه المعجبون والمعجبات بجو، فتداهمك حشودهم وتوقع بك الأذى.
- ألهذا، اذن، كان علي ان اضع نظارتين سوداوين؟
فأجابتها كارمن بالايجاب. وكانت جاءت بها الى القاعة عن طريق خلفية، ومع ذلك كان السائق يشق طريقه مسرعاً وسط حشود المراهقين والمراهقات، حتى انه اضطر الى استعمال العنف.
وكان جو ينتظر افتتاح الحفلة، خلف ابواب مقفلة، في غرفة خاصة وراء الكواليس. وسارت كارمن بكوينسي في ممرات ضيقة مظلمة الى غرفة صغيرة، حيث تركتها مع مذياع وكدسة من الصحف والمجلات، قائلة لها، كما لو كانت طفلة:
- انتظري هنا. وسندعوك اذا احتجنا اليك.
واستاءت كوينسي من هذا التصرف. وجلست تنتظر بفارغ الصبر، وهي تتصفح بعض المجلات وتستمع الى الموسيقى. غير ان ذهنها كان شارداً، ومزاجها متعكراً لشعورها بانها لم تكن تسير في السبيل الصحيح.
وعادت كارمن يرافقها بيلي غريفيت الذي صافحها كأنه لم يلقها من قبل، متمنياً لها ان تتمتع بحضور الحفلة.
وقالت لها كارمن بلهجة الأمر:

ـ تجنبي النــاس جميعــاً. . . وقفي حيث تكــونــين ولا تتحركي.

وسارت بها مع غريفيت في ممرات ضيقة مظلمة الى ان وجدت نفسها على المسرح الفخم، حيث كاد ضجيج الموسيقى المنبعثة من كل جانب يصم اذنيها.

وقالت لها كارمن:

ـ قفي هنا ولا تتحركي، كما قلت لك قبلاً. بعد قليل سيخرج جـو. اما انـا فيجب ان اذهب الآن، وسأعـود اليـك فيـما بعد.

قالت ذلك واختفت في الحال، فيما بقيت كوينسي في مكانها وهي متوارية عن انظار الحاضرين في القاعة. واحست بانها تشاركهم بالحماسة والانتظار المشبع بالاثارة، وبأن اعصابها متوترة، وجسمها بارد، ويديها جامدتان على جانبيها.

واعتلى المسرح رجل في بزة مخملية زرقاء اللون وراح يقدم جو الى السامعين، فكانت كلماته تستقبل بالصراخ والزعيق. وشعرت كوينسي انها تشارك الجميع صراخهم وزعيقهم، وتتطلع بفارغ الصبر الى اللحظة التي سيظهر فيها جو.

وفجأة اخذت القاعة تهيج وتموج، حين خرج جو ووقف في وسط المسرح والأضواء مسلطة عليه. وبدأ الناس يرمونه بالازهار وهم يهتفون، حتى ان موجة بعد موجة من الفتيات اخذن يرقصن ويهزجن ويحاولن الصعود الى المسرح مهما كلفهن الأمر.

وبدأت الأوركسترا بالعزف، ثم ارتفع صوت جو بالغناء الحميم المثير، فتوقفت الضجة وغرق كل واحد في مقعده.

اما فيما يتعلق بكوينسي، فكانت هذه الحفلة مناسبة جعلتها تكتشف واقع الحياة التي يعيشها جو. فعلى الرغم من تأثير شخصيته، كان يبدو امام عينيها، وهو في وسط الأضواء يواجه الجمهور اشبه بالتنين الفاغر فمه، صغيراً ووديعاً ووحيداً. فصوته

الساحر وحده هو الذي كان يكبح جماح الجمهور. فلا عجب ان يشعر بانه كالبرتقالة المعصورة بعد كل حفلة يقيمها، ولا عجب ايضاً ان يهرب بعد آخر حفلة ويأتي اليها كما فعل تلك الليلة.

وفي اثناء الحفلة جاءت اليها كارمن وبقيت معها بضع دقائق. كانت في حال من الهيجان الشديد، بتأثير الجو الذي اضفاه جو على الحفلة. فقالت لها:

ـ أليس مثيراً حقاً؟ انهم يكادون يبتلعونه!

فارتعشت كوينسي لهذا التعبير الواقعي الصحيح. ذلك ان الجمهور كان يلتهمه التهاماً ويمص منه حتى العظم.

ووجد جو صعوبة قصوى في جعل سامعيه يسمحون له بمغادرة المسرح. فكلما حاول الخروج صفقوا وصفروا وضجوا طالبين منه العودة الى المسرح ليسمعهم اغنية اخرى، وكان يجيب طلبهم على الرغم من العياء الشديد الذي بدا ظاهراً جلياً على حركاته وسكناته.

وحين خرج للمرة الأخيرة، وقفت كوينسي تصغي الى صراخ الجمهور وزعيقهم حتى انهم لم يتوقفوا ولم يغادروا القاعة الا بمعونة رجال الأمن الذين كانوا يحرسون القاعة.

والتقت كوينسي، فيما بعد، كارمن وغريفيت واناساً آخرين، فسارت معهم الى الغرفة التي يشغلها جو. وكان استحم والتف بمنشفة كبيرة. وكان شعره لا يزال مبللاً، وعيناه غارقتين في محجريهما من شدة الارهاق. غير انه كان محتفظاً بمرحه، يضحك ويتبادل النكات مع زائريه.

ووقفت كوينسي في زاوية من الغرفة، وهي متوارية عن انظاره. كانت تعبة، هي ايضاً، وتود لو تذهب في الحال الى البيت لأخذ قسطها من الراحة، وربما من النوم. ولكنها كانت مضطرة لانتظار كارمن حتى تخرج من القاعة بسلام وامان. فجمهور المعجبين

والمعجبات كان لا يزال محتشداً حول البناء، على امل ان يلقي نظرة على جو عند خروجه.

وفيما هي واقفة تنتظر، غلبها النعاس تحت وطأة الحرارة المتزايدة في الغرفة لكثرة الذين فيها، فسقطت مستسلمة الى النوم. ولكنها لم تلبث ان سمعت جو يناديها قائلاً:

- كوينسي... انهضي!

ولم تشأ ان تعود الى حال اليقظة الا بعد ان اخذ جو يعبث بشعرها ويدغدغ وجهها. وكم كانت دهشتها شديدة حين فتحت عينيها ووجدت الغرفة خالية، وجو يحدق اليها بعينين تحيط بهما ظلال التعب والعياء.

فقالت له:

- اين ذهبوا جميعهم؟

- كارمن ستعود بعد قليل لتهريبك من هنا... فلا ترتعبي.

- وأنت... كيف ستتقي خطرهم؟

- سأبقى هنا الى ان يذهبوا... ولن يطول ذلك.

ودخلت كارمن الغرفة قائلة لكوينسي:

- هل انت مستعدة؟

وحين ترددت في الجواب، صاحت بها ظاهرة:

- هيا بنا... انهضي، انا متعبة ايضاً.

نهضت كوينسي يساعدها جو قليلاً. و

فاخذتا تشقان طريقهما وسط الجمع المحتشد.

ملامحها وراء نظارتين سوداوين وتضع منذ

ذلك لم يجنبها الذعر الشديد. وساعدهما

الى السيارة التي اقلتها الى الشقة.

وفي الطريق، بمحاذاة النهر، قال

- هذا شيء مرعب حقاً!
- ستعتادين عليه.

قالت ذلك بغير مبالاة. على ان كوينسي كانت تعرف انها لن تعتاد عليه ابداً. وفكرت كيف يمكن لجو ان يتحمل ما تحمله في كل حفلة يقيمها، لأنه يتطلب شجاعة خارقة. وشعرت معه الآن بعد ان شاهدت بأم عينها، واصبحت تفهم حاجته بعد كل حفلة الى شخص آخر يجد في معاشرته العزاء وراحة النفس. وهو لذلك جاء اليها تلك الليلة وهي في شقة ليلي، فكان صادقاً، اذن، في ما قاله وما فعله.

وكانت ليلي في الفراش حين عادت الى الشقة، فتهيأت وأوت الى الفراش هي الاخرى. وفي سباتها حلمت احلاماً مزعجة بتأثير ما شاهدته وخبرته في تلك الحفلة: القاعة المحتشدة، والزعيق، والأيدي الممتدة في الظلام. وكانت تستيقظ ثم تعود الى النوم. وشغل بالها كيف يمكن لجو ان ينام بعد حفلة كهذه؟ والى متى يستطيع ان يتحمل جولات غنائية كالتي يقوم بها الآن؟ هل كان يا ترى يتمتع ا؟

أخرت بالنهوض من الفراش في الصباح التالي، فوجدت ان الشقة. وسرها ذلك، لأنها ستخلو الى نفسها وتستجمع

قهوة الصباح، وهي مسترسلة في التفكير. كان
ا في لندن. ففي المساء ستتناول طعام العشاء مع
بهرة راقصة في احد النوادي الصغيرة الشهيرة.
تعود الى بيتها.

بالضيق بسبب ما عانته من مشقة في الليلة
لندن، وهي تحن الى البيت وتنتظر العودة
آن وهي في ذلك الصباح فان امل العودة
قص والغناء، بل بأن قلبها مصنوع

من رصاص.

وفوجئت بجرس الباب يدق، فقفزت مذعورة، ثم اتجهت الى الباب وفتحته، واذا بها وجهاً الى وجه مع كارمن ليستر. كانت ترتدي فستاناً من قطعتين، وفي غاية الأناقة، ومن الصوف الناعم الرمادي الغامق. فابتسمت لها ابتسامة عابرة وتقدمت نحو الداخل وهي تتكلم قائلة:

ـ علينا الكثير لنعمله اليوم استعداداً لهذه الليلة. يجب ان تذهبي الى صالون التزيين والتجميل مرة اخرى، وسأعود الى لقائك هنا قبل حضور جو بساعة على الأقل، لكي اتأكد من انكِ على خير ما يرام. وسنلتقط لكما صوراً طول المساء...

وتوقفت عن الكلام ورمقت كوينسي بنظرة تفتقر الى طول البال واضافت قائلة:

ـ ما بالك؟ الست على استعداد للذهاب؟ هيا بنا، فوقتي ضيق وانت، على ما يبدو، لا معنى للوقت عندك!

فأطاعت كوينسي وخرجت معها تشق الطريق الى صالون التزيين والتجميل. وهناك تركتها كارمن بين يدي الشاب الظريف الذي اعتنى بها في المرة السابقة. ثم بعد مرور بضع ساعات، عادت كارمن وجاءت بها من هناك.

وكان الفستان الذي سترتديه تلك الليلة، والذي اختارته لها كارمن، يكشف من جسمها اكثر مما تعودت. وحين ارتدته حدقت الى صورتها في المرآة وفكرت انها لا يمكن ان تخرج به على الاطلاق. وحين دخلت ليلي الغرفة هتفت مندهشة مما رأته، فقالت لها كوينسي:

ـ لا استطيع ان ارتديه يا ليلي! اني اشعر كأني غيري.

فقهقهت ليلي ضاحكة واجابت قائلة:

ـ بل انت فتانة حقاً!

وعادت كوينسي فنظرت الى المرآة، فعجبت انها لم تعد نفسها،

بل فتاة اخرى. فالفستان اظهرها اطول قامة مما هي. وكان شعرها الكستنائي موضباً على نحو جعل وجهها بارزاً، فيما اخذت عيناها تشعان تحت رموش سوداء كثيفة. وهكذا بدت هيفاء القامة، انيقة ومتألقة. وصاحت بها ليلي:

- كفى، لا تقلقي! فأنت على جانب عظيم من الجمال في هذا الفستان الرائع. لم اصدق عيني حين دخلت الى هنا ووقع نظري عليك. انتظري تري كم ستثيرين من الضجة!

- لا اريد ان اثير اية ضجة...

- لا تكوني حمقاء. كل ما عليك ان تفعليه هو ان ترفعي وجهك وتظهري بمظهر اللامبالية بشيء، وان تتصرفي كما لو كنت اميرة عن حق.

- انت اعتدت على تحديق الناس اليك، اما انا فلم اعتد على ذلك.

- يمكن الاعتياد على كل شيء... وعلى كل حال، أين ستقضين السهرة مع جو الدونيز؟

- في فندق ريتز.

- انه افخم الفنادق... ليتني اكون هناك لأراك.

- سترين الصور التي سيلتقطونها، وهذا يكفي...

- اذن، لن تكون سهرتك سهرة لاثنين، بل هي اشبه بالسيرك... بحضور كارمن وجميع هؤلاء المصورين!

- لذلك تريني غير متحمسة لها على الاطلاق... فسأشعر فيها كالمهرج!

- لا، بل انت ابعد ما تكونين عن ذلك... وثقي انك رائعة حقاً.

ودق جرس الباب، فخفق قلب كوينسي وصاحت:

- ها هم قادمون!

وقالت لها ليلي:

ـ انــا ذاهبـة... لا تنسي انــك تـظهــرين في منتهى الجمال!

فشكرتها كوينسي على هذا التشجيع الذي كانت بأمس الحاجة اليه. وخرجت ليلي، ثم فتح الباب ودخلت كارمن يرافقها جو. وحين وقع نظره عليها اشرق وجهه، بعد ان كان متجهماً، فقالت له كارمن:

ـ ها هي يا جو! اعطها باقة الزهور.

فناولها جو باقة الزهور، فيما اخذ المصورون يلتقطون الصور. ونظرت كوينسي الى الباقة وتمتمت قائلة:

ـ يا لها من باقة جميلة!

وامرتها كارمن ان تخرج الباقة من العلبة التي كانت موضوعة فيها ولما عجزت عن ذلك بسبب ارتجاف اصابعها، سارع جو الى مساعدتها في ذلك. ثم تناول زهرة وشكلها في صدر فستانها، مما ارسل رعشة في جسمها الحار من شدة التأثر. وكان يقف الى جانبها على نحو قريب، فيما انشغل المصورون بالتقاط الصور، وهم يحيطون بهما. واستطاعت كوينسي ان ترى اناقة الثياب التي كان يرتديها جو، بحيث بدا كأنه من امراء القرن الثامن عشر.

وقالت كارمن:

ـ السيارة في الانتظار.

وقالت ليلي:

ـ اتمنى لكما سهرة سعيدة.

وفيما هما يغادران المكان، تمتم جو في اذن كوينسي:

ـ ما بك؟ هل انت متوترة الاعصاب؟

فرمقته بنظرة سريعة واجابت قائلة:

ـ لا بل خائفة مذعورة... هل من الضرورة ان يرافقنا هذا المصور طول السهرة؟

فتجهم وجه جو وقال:

- سأتحدث الى كارمن عن هذا الأمر.

وسارا الى سيارة سوداء فخمة كانت بانتظارهما في آخر الممر، فصعدا اليها بعد ان فتح السائق لهما الباب. وساعد جو كوينسي على الصعود والجلوس في المقعد الخلفي، فيما كان المصورون لا يتوقفون عن التقاط الصور.

وشقت بهما السيارة الشوارع المزدحمة الى فندق ريتز. وكانت السماء تمطر مطراً ربيعياً اضفى على الجو سحراً خاصاً. وحين وصلا الى الفندق نزلا من السيارة وصعدا الى الفندق وكان يتلألأ بالأنوار التي كانت تخترق حجب الظلمة وسط المطر المتساقط. وامسك جو بذراعها وقادها الى مدخل الفندق.

ومشت كوينسي الى جانبه وهي متوترة الاعصاب، الى ان بلغا القاعة الفخمة المليئة بالمرايا والرياش الفاخر. فاستقبلهما رئيس الخدم بابتسامة الاعجاب وقادهما الى مائدة في احدى زوايا القاعة. فساعد جو كوينسي على الجلوس الى المائدة، ثم التفت الى كارمن قائلاً:

- هذا يكفي الآن... لماذا لا تعودين أنت والمصور بعد ساعة من الزمن لأخذ بعض الصور لنا، فتتاح لنا فرصة تناول طعامنا بهناء؟

فلم يرق ذلك لكارمن وحاولت الاحتجاج، الا ان جو بادرها بالقول:

- اذهبي يا كارمن.

فاستدارت وخرجت من القاعة يتبعها المصور. وشعرت كوينسي بالارتياح، فقال لها جو:

- هذا افضل، اليس كذلك؟

واخذت كوينسي تجيل نظرها في انحاء القاعة التي كانت مزدحمة بالزبائن. وكان الجميع يتحاشون التحديق الى جو، لئلا ينزعج ويفقد حرية التنعم بعشائه مع رفيقته الحسناء.

وكانت الموائد صغيرة، وفي وسطها نبع ينتصب فيه تمثال ذهبي اللون، كان يثير الدهشة لروعته ومنظره الذي يأخذ بمجامع القلوب.

وسألها جو قائلاً:

ـ هل اعجبك هذا المكان؟

ـ انه مسرف في الفخامة، الا ترى؟

فضحك جو واجابها قائلاً:

ـ هذا الفندق بني منذ خمس وسبعين سنة، وكان صاحبه سويسرياً يملك فندقاً شبيهاً به في باريس. وفي يوم من الأيام، عليك ان تشاهدي ذلك الفندق لتري الشبه بينهما، خصوصاً في الفخامة والروعة اللتين هما متعة للعين والنفس معاً. وهنا في هذا الفندق، كما في مثيله بباريس، يمكنك ان تطلبي وتحصلي على ما تشائين...

فقالت كوينسي:

ـ حتى النجوم التي في السماء؟

وقهقهت ضاحكة، فقال لها جو:

ـ أراك ارتحت الآن وذهب قلقك.

وكان جو مصيباً في ملاحظته. فالجو الذي وجدت نفسها فيه اراحها بالفعل، واعاد اليها هدوء اعصابها.

وقال لها جو:

ـ حين تزورين نيويورك، ستجدين ان فندق بلازا هناك لا يقل عن هذا الفندق فخامة وروعة... وانا افضل الفنادق القديمة ذات التراث على الفنادق الحديثة ناطحة السحاب. ففيها دفء وجو انساني حميم.

وجاء رئيس الخدم واخبرهما ان مائدتهما اصبحت جاهزة في قاعة الطعام، فنهضا وسارا اليها كأنهما في حلم.

وحين جلسا الى المائدة صلت كوينسي في قلبها ان لا تعود كارمن

والمصور الا بعد وقت طويل. فهي لم تكن تريد لهذا الحلم ان ينتهي، فهو الشيء الآسر الوحيد الذي ستعود به من رحلتها هذه وتحتفظ به الى الأبد.

٧ - اذا تركته يتمادى، فستجد نفسها في وضع صعب ولكنه لن يتمكن من اغرائها الا اذا كانت هي راغبة في ذلك. وبكلمة اخرى، فان الاعتراف بالخوف منه دليل على انها تميل اليه!

وعادت كارمن والمصور الى الفندق، حالما انهى جو وكوينسي تناول عشائهما، فالتقطا بضع صور اخرى، قبل الجلوس الى المائدة ومشاركتهما في شرب القهوة. ثم خرجوا جميعاً وذهبوا في السيارة الى النادي، حيث حجزت لهم مائدة صغيرة في زاوية خاصة. والتقط المصور مزيداً من الصور لجو وكوينسي وهما يرقصان على حلبة الرقص الضيقة الشاحبة، ثم غادر المكان. ولحقت به كارمن بعد وقت قصير، فيما بقي جو وكوينسي لوحدهما. وكان الزبائن ينظرون اليهما ويتهامسون، غير ان احداً منهم لم يتكلم اليهما لئلا يزعجهما. وكان من عادة جو ان يشيح بنظره كلما التقى شخصاً غريباً، مما ساعده على انقاذ نفسه من الطفيليين.

وسألته كوينسي قائلة:

- متى ستطير عائداً الى اميركا؟

- غداً.

- اظن انك متشوق للعودة.

- نعم، وانت؟ الست متشوقة ايضاً للعودة الى البيت؟

فأجابت كوينسي بحماسة شديدة:

- نعم، وكيف لا؟

وادركت انها شعرت فجأة بالضيق، وتمنت لو كان بامكانها ان تنفجر بالبكاء. ورمقت جو بنظرة عاجلة من بين رموش اجفانها، فرأت جانباً من وجهه تحت بصيص نور الشمعة الخافت. وكان صامتاً، الا انه لم يلبث ان وضع يده الباردة على صفحة يدها قائلاً:

- ما رأيك برقصة؟

وفيما هما ينهضان ويتجهان نحو حلبة الرقص، تحولت الموسيقى الى انغام حالمة. وضمها جو اليه وهو يلقي بيد حول خصرها النحيل، ويقبض بالاخرى على انامله. وكانت الحلبة مزدحمة، مما حملها على الرقص ببطء وهدوء، بحيث شعرت كوينسي بحرارة انفاسه. ولم تكن خبرت من قبل ما يثيره ذلك من انفعالات اشعلت في اعماقها شرارة سرت في جميع مفاصلها.

وهمس في اذنها قائلاً:

- هل انت لا تزالين نادمة على مجيئك الى لندن؟

واحست بلهاثه الحار، فارتعشت في داخلها واجابت قائلة:

- لا اظن اني نادمة.

ولم ترفع نظرها اليه مخافة ان يلحظ ما يسري في اعماقها من مشاعر واحاسيس. كان جذاباً ومثيراً للغاية. ولذلك رأت ان من التعقل ان تتجنب النظر في عينيه اللتين كانتا تقدحان رغبة وراء رموش جفونه.

وهمس في اذنها مرة ثانية قائلاً:

ـ انت جميلة هذه الليلة.

بهقبل ان تتمكن من الابتعاد عنه، او الاحتجاج، كانت يداه

وتاسيرتهما البطيئة على صفحة عنقها. فازداد قلبها خفقاناً وهي

ليلي غادرت أن نواياه ليست شريفة، وانه يلهو بها. فاذا تركته

قواها وذكرياتها ستجد نفسها في وضع يؤدي بها الى ما لا تحمد

وجلست تشرب

ذلك اليوم آخر ايامهفي حلقها، ولكنها تمكنت من القول:

جو، ثم ترافقه الى سـ نذهب الآن... فالوقت متأخر، وعلي ان

وفي الصباح التالي سـ لركوب قطار العودة الى البيت.

ولعلها كانت تشعر بمارض رأيها هذا، ولكنه توقف عن الرقص

الفائتة. ومنذ ان جاءت ا من دون ان يتفوه بكلمة. وبعد عشر

اليه بفارغ الصبر، ولكنها ا الى شقة ليلي.

لم يجعلها تشعر بالرغبة في ا السيارة، ان رفعت كوينسي نظرها

رة لم تتوقف امام شقة ليلي، بل امام

نت في الحال، والذعر على وجهها،

ربت نحو جو وصاحت قائلة وهي

تحملق فيه:

ـ ماذا نفعل هنا؟ اريد الذهاب الى شقة اختي.

فأجابها بهدوء قائلاً:

ـ لا نزال في أول الليل، فرأيت ان نتسامر قليلاً هنا، قبل ان اعود بك الى الشقة.

فثارت ثائرتها واجابته بغضب قائلة:

ـ اتظن اني فتاة بلهاء؟ لن اصعد معك الى هناك... فاما ان تستدعي السيارة لتقلني الى شقتي، او استأجر سيارة تاكسي!

ـ طلبت طعام العشاء، وكارمن والمصور ينتظراننا لالتقاط مزيد من الصور...

وحدقت اليه وهي حائرة هل تصدقه ام لا.

فابتسم لها ابتسامة ساخرة وهو يقول:
- يا لك من فتاة سيئة الظن!
قال ذلك وطوقها بذراعه وسار بها نحو الفندق، قبل ان يتسنى لها ان تفكر في ماذا تفعل. وفي المصعد قالت له:
- افضل ان اعود في الحال الى شقة ليلي.
- بل الأفضل لك ان تهدئي اعصابك وتتمتعي بوقتك.
وحين وصلا الى شقته، فتح الباب ودخلت كوينسي، فاذا بالغرفة مظلمة خالية. وفيما هو يضيء المصباح، صاحت به قائلة بغضب:
- كذبت علي! كارمن ليست هنا.
- أصحيح هذا؟
ولكن كوينسي سارعت متجهة نحو الباب، فاعترضها قائلاً:
- الى أين انت ذاهبة؟
- لا اريد ان ابقى معك هنا.
- ولماذا لا؟ ومما تخافين؟
واوقف هذا السؤال سيل الكلمات التي كانت على وشك الخروج من فمها، فحدقت اليه بعينيها الخضراوين المتلألئتين. وكان جو يعرف تماماً ماذا كان يخيفها، ولكنه تحداها ان تعترف بذلك. فهي لو اعترفت لقالت ان ما يخيفها هو ان يتمكن من اغرائها، وهو اعتراف يشكل خطراً عليها. ذلك ان جو لا يتمكن، على الاطلاق، من اغرائها، الا اذا كانت هي راغبة في ذلك. وبكلمة اخرى، فان الاعتراف بالخوف منه دليل على انها تميل اليه.
وقالت له:
- لماذا كذبت علي؟ كنت تعرف ان كارمن ليست هنا، وكذلك المصور!
فأجابها بابتسامة ماكرة:
- اردت ان اجيء بك الى هنا، ولم يكن امامي من وسيلة سوى

ان اخبرك انك لن تكوني وحدك معي.
فصاحت به قائلة:
- يا للحقارة!
فلم يبال بكلامها. ونظرت اليه، ثم جالت بنظرها في الغرفة الخالية، فادركت كم هي عاجزة عن المقاومة.
وقال لها:
- ليس من عادتي ان افرض نفسي على النساء، فلا تضطربي ولا تقلقي!
- انا لست مضطربة ولا قلقة! كل ما في الأمر اني لا اريد ان يكذب علي احد... والآن ارجوك ان ترافقني الى بيتي.
فألقى يده حول خصرها وسار بها الى غرفة الجلوس وهو يقول لها:
- تعالي وتناولي طعامك اولاً.
- لست جائعة.
فقال لها بنبرة هادئة كادت لا تسمعها:
- كوينسي... ارجوك... لا تغضبيني... هذه آخر ليلة لنا معاً، فلا تفسديها!
واستولى عليها الصمت، وشعرت بالحرارة تصعد الى جفونها، كانت تكاد لا تعرفه، فلماذا تشعر كأنها ستنفجر بالبكاء؟
ونزع عنها معطفها الفرو الصغير واشار اليها بالجلوس. ثم تناول سماعة التلفون وتكلم مع مطعم الفندق قائلاً:
- ارسلوا الينا القهوة بعد نحو عشر دقائق.
وكان الخدم هيأوا لهما طعاماً بارداً قبل وصولهما، فاختار جو بعضه ووضعه في صحن وقدمه اليها، فقالت:
- شكراً. لست جائعة.
ولما اصر عليها، تجاوبت معه على امل ان يملأ الطعام بعض الوقت، فيمكنها ان تطالبه بالعودة بها الى البيت. ثم اقبل الخادم

بالقهوة، فشربت كوينسي قهوتها من دون سكر، لعلها تساعدها على اليقظة والتنبه. ولكن املها خاب، اذ كلما اقترب منها خفق قلبها بسرعة وازدادت اعصابها توتراً.

وبعد ان شربت فنجانها قالت:

ـ والآن حان لي ان اذهب.

قالت ذلك ونهضت واقفة. ومد ذراعه وطوقها فصاحت به:

ـ اليك عني.

ولكن دون جدوى، اذ لم تلبث ان وجدت نفسها ورأسها ملقى على كتفه، فزجرته بغضب قائلة:

ـ دعني وشأني... لا اريد ان تلمسني!

فتمتم جو قائلاً لها:

ـ انت تكذبين.

قال ذلك وراح يعانقها برفق وهي ترتعش وتتنهد. وطوقت عنقه بذراعيها تحت تأثير اندفاع لا يقل عن اندفاعه هو.

وكانت تعرف انها لو بقيت معه وحدها، فهذا ما سيحصل. فمطلبه منها كان واضحاً جلياً منذ تلك الليلة التي نام فيها على مقعد اختها ليلي. كان رجلاً خبيراً بأمور الدنيا، جاب الأرض من اقصاها الى اقصاها، ونسي معظم النساء اللواتي ارتمين بين ذراعيه.

وهمس في اذنها وهو يعانقها بحرارة العاشق الموله:

ـ آه، كم انا بحاجة اليك! وكم انت دافئة وغضة ناعمة! ليتني آخذك بين ذراعي طول الليل، حتى اذا افقت في الصباح وجدتك الى جانبي!

وفيما هما كذلك لمع ضوء بالقرب منهما، فاستولى الذهول على كوينسي وهي تحاول التفكير في ماذا عسى ان يكون ذلك. ولم تكد تعود الى وعيها وتستجمع قواها، حتى رأت جو يقفز من المقعد وهو يلعن.

وفتحت كوينسي عينيها جيداً بصعوبة، من دون ان تتحرك،

فشاهدت جو يخرج من باب الغرفة ويجري مسرعاً في الممر. ثم لم تلبث ان سمعت صوت عراك شديد، فهبت واقفة على قدميها، وهي تترنح، واتجهت نحو الباب لترى ما الخبر. وسرعان ما عاد جو الى الغرفة وبيده آلة تصوير، واقبل نحو جهاز التلفون وتناول السماعة وقال بغيظ شديد:

ـ انا السيد الدونيز. . . الآن اقتحم احد المصورين شقتي والتقط صورة لي. اريد ان تمنعوا خروجه من الفندق وان ترفعوا عليه دعوى مداهمة وسرقة. . . واريد ان اعرف كيف استطاع الدخول الى هنا. . . وانا لم اتوقع ان بامكان المصورين ورجال الصحافة ان يدخلوا ويخرجوا الى شقتي الخاصة كأنها ملك للجميع. . . فليس لمثل هذا ادفع المبالغ الباهظة التي طلبتموها مني. . .

وكانت كوينسي تشعر بالغثيان وهي تسمع هذا الكلام. . . اذن، دخل رجل غريب والتقط صورة لها ولجو معاً. وسارعت الى اصلاح هندامها، وهي ترتجف من القرف والاستياء. وتساءلت كيف بدت في نظر ذلك الرجل؟ ففكرة ان انساناً غريباً كان يشاهدهما جعلها تمقت حياتها.

وقال جو بصوت متهدج:

ـ اي فندق هو هذا الفندق؟ واي حراسة هي هذه الحراسة؟

وتناولت كوينسي معطفها الفرو والقته على كتفيها، كما لو ان الغرفة لفها الصقيع فجأة. واختفى من وجهها الاحمرار الذي سببته الاثارة، وحل مكانه اصفرار باهت كورقة الخريف.

وبعد ان وضع جو سماعة التلفون ، تناول آلة التصوير وفتحها واخرج منها الفيلم ورماه في سلة المهملات وقال:

ـ لم استطع القبض على الرجل، ولو قبضت عليه لخلعت رقبته.

ولم تستطع كوينسي ان تتفوه بكلمة.

فتطلع اليها جو، ولما رأى ملامح البؤس على وجهها قال:

ـ ما بك؟ هدئي من روعك. . .
فأجابت بصوت خافت:
ـ كيف تنتظر ذلك مني بعد حدوث ما حدث؟
ـ انا آسف. . .
ـ وانا ايضاً.
ـ هذا يريك ما انا عرضة له في هذه المهنة التي امتهنها.
ونظرت كوينسي الى ساعة يدها، ولكنها لم تر الوقت مع انها حدقت الى الساعة ملياً. ثم قالت له:
ـ يجب ان اذهب الآن. . . اختي لا بد ان تكون قلقة علي.
فتقدم اليها قائلاً وهي تبتعد عنه، عن غير قصد:
ـ كوينسي. . .
وتوقف عن الكلام، وعيناه على وجهها الذي حولته عنه. ثم لم يلبث ان اتجه فجأة نحو الباب قائلاً:
ـ حسناً. سأرافقك الى البيت.
وتبعته كوينسي الى المصعد وهو صامت. وحين وصلا الى بهو الفندق اقبل نحوهما الرجل الجالس على طاولة الاستقبال. وقبل ان يتكلم، بادره جو الى القول:
ـ انا راجع بعد قليل.
وكانت السيارة واقفة الى جانب الرصيف، فصعدا اليها بصمت، ثم انطلقت بهما، يقودها جو. وبعد قليل نظر اليها قائلاً:
ـ انا ادرك تماماً ما هو شعورك الآن!
ـ هل هذا صحيح؟
ـ نعم. . . انا اعيش في قفص ذهبي، فهل تظنين ان ذلك يروق لي؟ حين يحصل لي شيء كالذي حصل، يستولي علي الغضب ويزعزع كياني كله. . .

وحدقت كوينسي الى الشوارع الهادئة التي كانا يجتازانها. لا شك انه كان دائماً عرضة لمثل ذلك الحادث.

وانحرف جو بالسيارة نحو النهر، فاستطاعت كوينسي ان تشاهد ضوء القمر يتلألأ على الماء وسط الأبنية الشاهقة. كانت لندن نائمة حولهما، وقصاصات من الورق الأبيض تتطاير على الأرصفة. واحس جو انها ترتجف، فسألها قائلاً:

ـ هل تشعرين بالبرد؟

ـ انا بخير...

قالت له ذلك وهي تشعر برغبة جامحة في التخلص منه والانفراد بنفسها، حيث تلملم ذاتها وتضمد جراحها بعيدة عن نظره. ولم تكن متأكدة كم كان المها عميقاً ولا اين كان مصدره. هل هو شعورها بالخجل والخزي لوقوع عين غريبة عليها وهي بين ذراعي جو، ام لادراكها انها في ذلك الوقت الوجيز كادت تستسلم الى رجل سيخرج غداً من حياتها الى الأبد؟

وتوقفت السيارة امام شقة ليلي، فالتفت اليها جو وذراعه على المقود، وقال:

ـ عندي الكثير مما اردت ان اقوله لك...

فقاطعته قائلة:

ـ علي ان اسرع في الدخول يا سيد الدونيز... فالوقت متأخر جداً.

ـ كوينسي...

قال ذلك بشيء من الغيظ، ولكنها فتحت الباب وخرجت متجاهلة ما تنطوي عليه نبرة صوته.

فأمسكها جو بذراعها قائلاً بصوت خافت:

ـ لا يجوز ان نفترق هكذا يا كوينسي.

فأجابته قائلة:

ـ ليس هنالك ما يقوله واحدنا للآخر... انا لا اريد ان يكون لي

اية علاقة بالحياة التي تحياها والتي تسميها قفصاً ذهبياً. واني كرهت كل دقيقة امضيتها في الدعاية التي قمت بها... ويا ليتني رفضت ذلك منذ البداية، بل ليتني لم اجيء الى لندن على الاطلاق.

ومن دون ان تنتظر جوابه اسرعت نحو المدخل وهي تلوح له بيدها مودعة.

وخشيت ان يتبعها ولكنه لم يفعل. وما ان وصلت الى الباب حتى سمعت صوت محرك السيارة وراءها، ثم صوت العجلات تدور على صفحة الشارع وهي تبتعد.

وفي الشقة وجدت ان من الصعب ان تنام لشدة الاضطراب، فغلت فنجان قهوة وجلست في مقعد وهي تفكر وترتعش بين اللحظة والأخرى. وبعد حين بدأت خيوط الفجر تتسرب الى الغرفة من خلال الستائر، ثم في الساعة السابعة سمعت ليلي تنهض من فراشها وتقبل نحو باب الغرفة وتدخله متثائبة وهي في قميص النوم.

وفوجئت بأختها جالسة هناك، فقالت لها:

- متى رجعت؟ اويت الى فراشي في الواحدة صباحاً ولم تكوني رجعت... فماذا جرى لك يا كوينسي؟

فأجابتها بعصبية ظاهرة:

- لا شيء... لا شيء على الاطلاق!

- ولكن ما بال الاحمرار صعد الى وجهك؟ يا له من لون جميل! جو الدونيز قضى ليلة ممتعة على ما ارى...

- ذهبنا الى ناد ليلي، ولكني عدت منذ ساعات ولم اكن اشعر بالنعاس.

- عسى ان لا تكوني فعلت شيئاً غير لائق يا عزيزتي.

- كلا، ولكن ماذا تقصدين؟

- جو رجل يختلف عن سائر الرجال الذين تلقينهم عادة... فانا

لا اريد ان يصيبك اذى.
ـ انا لست فتاة بلهاء...
قالت ذلك وهي تتمنى ان يكون صحيحاً. فهي كانت بلهاء حقاً، وهذه هي المشكلة، والا لما تركت نفسها العوبة في يد جو الدونيز.
وردت عليها ليلي بالقول:
ـ من سوء حظي اني كنت منشغلة بالتمارين، فلم استطع ان اهتم بك جيداً، كما وعدت الوالد.
ـ وهل طلب منك ذلك؟ كلكم تعتقدون اني في العاشرة من العمر... انا في الواحدة والعشرين كما تذكرين، ولست بحاجة الى ان يحرسني احد!
ـ انا معتادة على رجال كهؤلاء، واما انت فلا...
فلم تجب كوينسي بشيء، فتابعت ليلي قائلة لها:
ـ هل حقاً انت بخير؟ يمكنك ان تصارحيني، وثقي اني لن اخبر احداً...
ـ ان كنت تريدين ان تعرفي اذا كان جو الدونيز اغراني، فالرد على ذلك انه لم يفعل!
ـ هذا ما اريده، وهو ان تكوني صريحة.
ـ نعم، أليس ما اردت ان تعرفيه؟ فلماذا الجأ الى اللف والدوران؟
ـ اريدك ان تعلمي اني لا اتهمك بشيء...
ـ قلت لك اني في الواحدة والعشرين من العمر، لا في العاشرة... وانا اعرف واقع الحياة، بحيث لم اعد اعتقد ان الاطفال تولد من جذوع الشجر!
فضحكت ليلي وقالت:
ـ وانا لم اعتقد ذلك يوماً، فوالدي اخبرني بالحقيقة وانا في السادسة.

- وانا كذلك.

- يا له من والد شديد الدهاء!

وهنا شعرت كوينسي بالشوق الى اهلها، بحيث كادت تنفجر بالبكاء. فهي الآن تفتقر الى دفء البيت والطمأنينة التي تحف بها فيه.

وقالت لها ليلي:

- علي ان استحم في الحال واستعد للذهاب في الثامنة والنصف. سأقضي هذا النهار كله في التمارين ايضاً...

- انت ترهقين نفسك بالعمل، على ما ارى...

- الحق معك. وهذا الصباح اشعر بجسمي يكاد يتمزق.

- وهل انت لا تزالين تعتقدين ان مهنتك هذه تستحق كل هذا التعب والعناء؟

- الآن، كلا. ولكني قد اغير رأيي بعد ان انتهي من التمارين ويصبح العمل جاهزاً للعرض.

ولم تجب كوينسي بشيء. وفيما ليلي تخرج من الغرفة نادتها قائلة:

- اتريدين فنجاناً من القهوة؟

- نعم، شكراً. فأنا بحاجة الى ما يوقظني جيداً.

وغلت لها كوينسي فنجاناً من القهوة وهي تصغي الى الراديو، ثم رن جرس التلفون، فترددت قليلاً في الاجابة، مخافة ان يكون جو هو المتكلم.

ولم يكن المتكلم جو، بل برندن الذي خاطبها بحياء قائلاً:

- كوينسي؟ كيف حالك؟ اردت ان اعرف اذا كنت ستعودين اليوم بالقطار...

- نعم، سأعود.

ـ وانا ايضاً. . . فهل نسافر سوية؟

ـ في اي قطار انت ستسافر؟

ـ في قطار الساعة الحادية عشرة. . .

ـ عال. هذا يوافقني انا ايضاً.

ـ اذن، هل تريدين ان آتي واصطحبك بالتاكسي؟

ـ نعم، شكراً.

وحين القت السماعة كانت ليلي وقفت وراءها وهي تلتف بمنشفة الحمام، فسألتها قائلة:

ـ من المتكلم؟

ـ برندن. سنعود سوية في القطار. . . وسيأتي بالسيارة الى هنا في العاشرة. والآن علي ان احزم حقيبتي.

ـ برندن شاب طيب السيرة والسريرة، أليس كذلك؟

فلم تجبها كوينسي بشيء، بل رمقتها بنظرة جافة لأنها ادركت ما انطوت عليه ملاحظتها. فهي انما قصدت ان تمتدح برندن كتعويض لكوينسي عن خسارة جو الدونيز.

وغادرت ليلي الشقة بعد نحو ساعة. وحين ودعت اختها حملتها تحيات حارة الى ذويها، على ان تتصل بهم قريباً. فقلقت وتساءلت ماذا عساها ان تخبرهم عن رحلتها الى لندن؟

وادركت ليلي ما يساورها من قلق، فقالت لها:

ـ لا تقلقي. ساكون كتومة، فلن يسمعوا مني غير ما سيسمعونه منك، هذا لا يعني اني اعرف شيئاً لا اريد ان اخبرهم به. . . فانا مثلهم اجهل كل شيء!

ـ تجهلين كل شيء؟ عن ماذا؟

ـ عن كل هذا الذي تخبرينني به.

قالت ليلي هذا الكلام وخرجت مودعة، قبل ان تتمكن كوينسي من تكرار نكرانها لأي تورط في علاقتها مع جو الدونيز.

ووصل برندن في العاشرة وحمل حقيبتها الى السيارة التي كانت تنتظر في الخارج. وصعدت كوينسي الى السيارة، فيما اشار برندن على السائق ان يقلهما الى المحطة. ولكن قبل ان ينطلق بالسيارة، اقبلت سيارة اخرى وتوقفت ازاءها. وتطلعت كوينسي، فاذا سائقها هو جو ولا احد سواه.

وسألها برندن قائلاً:

- هل تريدين التحدث اليه؟

- كلا، لا اريد.

فأمر برندن السائق ان يتابع سيره، ولكن جو قفز من سيارته وهرع نحوهما صارخاً بالسائق ان يتوقف. وصاح به السائق:

- ماذا تفعل؟ كدت اطرحك ارضاً ايها المعتوه!

- اريد ان اتحدث الى الفتاة التي في داخل سيارتك.

قال ذلك بغضب ورماه بورقة من خمسة جنيهات، فتوقف في الحال معتذراً على ما بدر منه.

وفتح برندن زجاج باب السيارة وقال له:

- نحن في عجلة من امرنا، فماذا تريد يا الدونيز؟ كوينسي لا تريد ان تكلمك!

- اريد ان اكلمها....

قال ذلك ونظر الى كوينسي وهي جالسة ترتجف:

- اريد ان اكلمك يا كوينسي!

وقال له برندن:

- يا للوقاحة... اما قلت لك انها لا تريد ان تكلمك؟

وامر السائق ان ينطلق من دون تردد. وجلست كوينسي من دون حراك، فيما السيارة تنطلق الى الأمام. ثم لم تلبث ان سمعت صوت جو يناديها قائلاً:

ـ كوينسي!
ولكنها كانت تعلم ماذا كان يريد ان يقول لها. كان يريد ان يقول لها كلمة الوداع، وهي لم تكن ترى اية ضرورة لذلك.

٨ـ حياتها الى هذا التاريخ كانت كتاباً مفتوحاً فلم تتعود ان تخفي شيئاً. غير ان العواطف التي كانت تعتمر في داخلها من قبل هي غيرها هذه المرة... بحيث حرصت على ان لا يعرفها أحد!

وظنت كوينسي أنها بمغادرتها لندن تهرب من اهتمام الصحافة بها، غير أنها اكتشفت حين نزلت من سيارة التاكسي أمام منزلها أنها كانت على خطأ. فما كادت تبلغ الباب الخارجي حتى لمع نور آلة التصوير كالبرق، حتى انه أوشك ان يعمي بصرها، ثم سمعت صوت المصور يحييها قائلاً:

ـ كيف تشعرين بعد عودتك يا كوينسي؟

فأجابت، وهي بعد مذهولة بتأثير هذه المفاجأة:

ـ أشعر بفرح تام.

ـ وكيف كانت سهرتك مع جو الدونيز؟ هل تلتقينه مرة أخرى؟ وماذا قال لك؟

ولم تشأ كوينسي ان تجيب على هذه الاسئلة، بل اكتفت بالتحديق اليه وقد صعد احرار الغضب الى وجهها. وأضاف المصور سؤالاً آخر، فقال:

ـ ماذا جرى عندما تناولت طعام العشاء معه؟

وكان برندن، في هذه الاثناء، دفع للسائق أجرته وأخذ يخرج الحقائب من السيارة. فما ان لمح المصور حتى هجم عليه وأمسكه بياقة قميصه وصاح به:

ـ ماذا تفعل هنا؟

ودفعه بعنف، غير انه تمكن من التقاط صور أخرى وهو يهرب متجهاً الى سيارة التاكسي. وناداه برندن محذراً من العودة، فيما أسرعت كوينسي الى الباب وكبست على الجرس بلهفة شديدة.

وفتحت لها والدتها الباب بابتسامة وترحيب، فارتمت بين ذراعيها تعانقها وهي تشهق بالبكاء. ولم يرق ذلك للسيدة جونز، فنظرت اليها نظرة تأنيب قائلة:

ـ ما بك؟ هل أزعجك هذا المصور؟ كان في انتظارك منذ الصباح، وعبثاً أمرته بمغادرة المكان، حتى انني فكرت في استدعاء البوليس...

فأجابها برندن وهو يدخل بالحقائب:

ـ نعم، ازعجها جداً...

وقالت السيدة جونز:

ـ الشاي على النار.. تعالي وأخبريني ما جرى لك في هذه الرحلة. أنا في شوق شديد الى سماع كل التفاصيل!

وأجابتها كوينسي قائلة:

ـ أنا متعبة الآن يا أماه.

ـ لا أشك في ذلك يا ابنتي. لا بد ان رحلة القطار أنهكتك، كما اختبرت ذلك بنفسي، كل مرة كنت أعود فيها من لندن.

كانت تتكلم وهي تمعن النظر في كوينسي، كأنما تبحث عن شيء

فيها. ولم يكن من السهل على كوينسي ان تخفي ما في باطنها، ولذلك خافت، ان هي نظرت الى أمها وجهاً الى وجه، ان تفضح أمرها. ففي القطار تظاهرت بالنعاس وأطبقت جفونها، وبذلك جعلت برندن يتحاشاها ويمتنع عن توجيه الاسئلة اليها. والآن، اذا لم تلجأ الى التظاهر بالارهاق وتلزم فراشها في اليومين القادمين على الأقل، فلا بد من ان تضطر الى التحدث الى والدتها عن تفاصيل رحلتها الى لندن.

وقال برندن:

ـ يجب ان أذهب وألقي نظرة على مرضاي.

قال ذلك واتجه نحو العيادة، فأسفت كوينسي لذهابه، تنوي ان تستعمله كترس يقيها مواجهة والدتها على حدة. وآلمها اضطرارها الى عدم مصارحة والدتها الآن، فيما كانت في الماضي تصارحها بكل شيء. فحياتها الى هذا التاريخ كانت كتاباً مفتوحاً، فلم تتعود ان تخفي شيئاً. غير ان المشاعر والعواطف التي كانت تعتمر في داخلها من قبل، هي غيرها هذه المرة، بحيث حرصت على ان لا يعرفها أحد.

وأخذ الماء يغلي في المطبخ فهرعت السيدة جونز الى تهيئة الشاي. وقالت لكوينسي:

ـ والدك يقوم بجولة لعيادة مرضاه... ونحن احتفظنا بكل الصحف التي نشرت صورك وأخبارك. يا لها من صور جميلة! بدأت أجمع قصاصات منها ولم انته بعد لكثرتها.

ووضعت ابريق الشاي على المائدة وتابعت قائلة:

ـ هناك بعض أقراص الحلوى في الفرن، وستستوي بعد قليل. آه، لو تعلمين كم يتشوق بوبي لسماع أخبارك... زملاؤه في المدرسة يضايقونه كثيراً بسبب ذلك.

ـ هذا لا شيء بالنسبة الى ما سأفعله به.

ـ لماذا؟ أي ذنب ارتكب؟

ـ ألم يورطني في كل هذا الذي جرى لي؟

ـ ظننت أنك قضيت وقتاً ممتعاً!

فترجّتها كوينسي قائلة:

ـ لا أريد ان أتحدث عن ذلك الآن . . . لا تستطيعين ان تتصوري كم كان ذلك كله موجعاً يا أماه!

ـ لا استغرب شعورك، فانت لم تتعوّدي على الحياة المثيرة، ولكن عندما تستعيدينها في ذاكرتك، ستفرحين بأنها حدثت.

وفيما السيدة جونز تخرج الحلوى من الفرن، رن جرس التلفون، فقالت:

ـ جاوبي على المكالمة يا كوينسي. لا تنسي ان والدك غائب، وان برندن في العيادة.

فنظرت كوينسي الى جهاز التلفون بكراهية قائلة:

ـ أرجوك يا أماه! جاوبي أنت. قد يكون المتكلم مصوراً صحافياً، وأنا لا أقدر الآن ان اتحدث اليهم بشيء.

قالت ذلك لأنها خشيت ان يكون المتكلم هو جو، ورغبتها في عدم التحدث اليه كانت أقوى من رغبتها في عدم التحدث الى الصحافة.

ومسحت والدتها يديها واتجهت نحو جهاز التلفون وتناولت السماعة، ثم خاطبت محدثها قائلة:

ـ كيف حالك يا بيني أنت والطفل؟

وبعد ان تبادلت الحديث قليلاً معها، التفتت الى كوينسي قائلة:

ـ بيني تريد ان تكلمك.

فاقبلت كوينسي نحو جهاز التلفون وقالت في السماعة:

ـ علمت ان ديفيد صار يمشي وهو بخير، فشكراً لله.

ـ نعم، ولكن هذا مزعج حقاً . . . فهو يركض في كل مكان، وأخشى عليه ان يقع ويحطم رأسه، أو ان يخرج الى الحديقة فتأكله الأوز!

فقالت لها كوينسي:
- لن أقلق عليه لو كنت مكانك، وخصوصاً من الأوز!
فضحكت بيني قائلة:
- الحق معك. وعلى كل حال كيف كانت مغامرتك في لندن؟ قرأنا كل شيء عنها في الصحف، نحن وجميع أهل القرية هنا...
- كل ما قرأته لا يعدو كونه دعاية سخيفة.
- كل شيء؟
- نعم، كل شيء.
- لا أصدق كلامك... وكيف أصدقه وانت قضيت سهرة مع جو الدونيز؟ لا بد ان يكون أخبرك بأمور لم تتسرب الى صفحات الجرائد!
- وكيف يكون ذلك والمائدة التي جلسنا اليها لم تخل من الفضوليين الذين لم يتركونا لحظة واحدة على انفراد؟
- اسمحي لي ان أشك في كلامك أيضاً.
- لك ان تشكي... وعما قريب سآتي الى زيارتك، فأنا بشوق الى رؤية ديفيد.
- أهلاً وسهلاً. وستحدث في أمور كثيرة عند حضورك.
ووضعت السماعة في مكانها والتفتت الى والدتها، فوجدتها تحدق اليها بنظرات متسائلة، مما جعل الاحمرار يصعد الى وجهها. وفيما هي تشرب الشاي، دخل والدها، فعانقها بحرارة وهو يقول:
- الجميع يتحدثون عنك ويتشوقون الى معرفة تفاصيل رحلتك الى لندن. أخبريني، كيف تشعرين وقد جاءتك الشهرة فجأة وبمثل هذه السرعة؟
- أشعر بالضيق وخيبة الأمل! وقبل ان تسألني أجيبك اني قضيت وقتاً ممتعاً في لندن، واني سعيدة بالعودة الى البيت سالمة معافاة... وهذا كل شيء، ولا أريد ان أزيد كلمة في هذا الموضوع. كل ما أريده الآن هو ان انسى ما حدث لي.

ونهضت متجهة نحو الباب وهي تقول:

ـ سأستحم الآن، فأنا بحاجة الى اراحة اعصابي.

وامتنعوا عن توجيه أية اسئلة أخرى اليها، حين عادت الى غرفة الجلوس بعد نحو ساعة. غير ان بوبي لم يكن من الممكن حمله على السكوت، فانهال عليها بالاسئلة عندما رجع من المدرسة. كان مهتماً، أكثر ما يكون، بمعرفة نوع السيارة التي يقتنيها جو الدونيز ومقدار سرعتها وما الى ذلك، بالاضافة الى ألوان الطعام التي تناولتها هي واياه على مائدة العشاء. على ان كوينسي رأت ان لا خطر من هذه الاسئلة البريئة، فأجابت عليها بطيبة خاطر.

وقال لها بوبي وهو يعلق على صورة لها في الصحيفة:

ـ تظهرين مذهولة جداً وانت تراقصينه في ذلك النادي الليلي. ولا استغرب ذلك، فجميع الفتيات يترنحن نشوة حتى عند ذكر اسم نجم غنائي لامع.

فصاحت به قائلة:

ـ أنا لست من هذه الفتيات. واذا كنت توقعت ان أفقد عقلي ولهاً به، فانت مخطىء. وعلى كل حال، فلن أنسى ما فعلته بي حين ملأت تلك القسيمة!

وأمسكته باذنه وشدت قليلاً، فاخذ يصرخ متألماً. ثم افلت منها وخرج مسرعاً من الغرفة وهو يقول:

ـ لدي فروض مدرسية يجب اتمامها... الى اللقاء.

وقالت السيدة جونز:

ـ الترنزيستور الخاص به لم يعد يصلح لشيء. وعندما أنزل الى البلدة سأرى أسعار الترنزيستورات، لعلني أتمكن من شراء واحد جديد له.

فبادرتها كوينسي بالقول حانقة:

ـ لا يستحق أي شيء من هذا.

ـ حرام عليك... فهو ولد عاقل.

- عاقل؟ هل انت جادة في ما تقولين يا أماه؟
- نعم، ولكني أقصد أنه كان يمكن ان يكون اسوأ مما هو عليه الآن!
- انت متساهلة يا اماه... والمثل يقول: عين الحب عمياء!
فابتسمت السيدة جونز وأجابت قائلة:
- ربما، ولكن يجب ان نعترف له بنشاطه واجتهاده في المدرسة، وحرصه على عدم تبذير ما يكسبه من عمله في توزيع الصحيفة على المشتركين في القرية.
- انت تقصدين انه بخيل، وهذا صحيح. فرصيده في البنك اكبر من رصيدي بكثير.
- انت تظلمينه... أهداني في عيد ميلادي هدية جميلة جداً.
- يا له من ملاك طاهر، اذا كان هذا ما تريدين ان يكون رأيك فيه!

وبعد يومين وصل الترنزيستور الذي وعده به جو الدونيز، فأحدث وصوله هيجاناً في البيت. وكان بوبي في المدرسة، فوضعت والدته العلبة في غرفة الجلوس بانتظار عودته، وهي تتشوق الى فتحها لترى ما كان في داخلها. ولما حاولت كوينسي فتحها، زجرتها قائلة:
- أياك ان تفتحيها، فهي معنونة الى بوبي.
وأخيراً جاء بوبي من المدرسة، فما ان دخل الغرفة وشاهد العلبة حتى صاح:
- ما هذه العلبة؟ لا بد انها لي...
قال ذلك وحملها بين يديه، فيما قالت له كوينسي وقد هرعت مع والدتها الى الغرفة:
- افتحها في الحال... انها لك.
وفيما هو يجد صعوبة في فتحها، انتزعتها والدتها منه قائلة:
- ما هكذا يفتحونها... لنذهب الى المطبخ ونفتحها هناك بالمقص الكبير.

وانتقلوا الى المطبخ. واخذت السيدة جونز تعالج العلبة بالمقص، بينما بوبي يرقص فرحاً حولها. وحين انفتحت العلبة واخرجت السيدة جونز الترنزيستور، صاح بوبي وهو يهتز طرباً:

ـ يا له من جهاز رائع!

وتطلعت السيدة جونز الى كوينسي، وفي عينيها بريق المحبة والاعجاب، وقالت لها وهي تعانقها:

ـ آه، يا لك من فتاة سخية...

فقالت لها كوينسي:

ـ أنا لم أرسله يا أماه.

ومال بوبي بنظره عن الجهاز وحدق الى أخته قائلاً:

ـ من أرسله، اذن، انه جهاز ثمين وفخم...

وقالت السيدة جونز أيضاً:

ـ نعم، من الذي أرسله يا كوينسي؟

فأجابت كوينسي قائلة:

ـ لعله جو الدونيز.

وصاح بوبي بصوت عظيم قائلاً:

ـ جو الدونيز؟ آه يا الهي...

قال ذلك وأقبل على الترنزيستور، فحمله على كتفه وصعد به عائداً الى غرفته.

والتفتت السيدة جونز الى ابنتها سائلة:

ـ ماذا يجعلك تظنين ان جو الدونيز هو الذي ارسله؟

فاجابتها قائلة:

ـ لأنه وعده به.

ـ انه حقاً رجل شهم... فهو رغم انشغاله لم ينس وعده لبوبي.

ـ نعم، هذا صحيح يا أماه!

ـ لم يكن بامكاننا ان نشتري لبوبي مثل هذا الجهاز الثمين، ولذلك فنحن نقدر هذا الكرم والسخاء للسيد الدونيز.

قالت ذلك وذهبت الى غرفة بوبي لتعيد هذا الكلام على مسامعه، بينما بقيت كوينسي وحدها تتطلع من النافذة الى الأفق الربيعي البعيد.

وسيطر عليها شعور بالكآبة، فتنهدت وهي تفكر انها لا تريد الآن ان يكون حولها ما يذكرها بجو الدونيز، لا الترنزيستور ولا الاسطوانة التي تقتنيها. ولكن ربما تستطيع ان تتحمل سماع أغانيه في يوم ما.

غير انه كان عليها ان تسمع بصبر جميل أغانيه التي كانت تنبعث من غرفة بوبي بين الحين والآخر.

وكتب بوبي رسالة شكر الى جو الدونيز، على عنوان كارمن ليستر في لندن. وكان من المفترض ان تحولها اليه في أميركا، ولكن بوبي لم يتلق منه أي جواب.

وعادت كوينسي الى حياتها السابقة التي درجت عليها. ومع مرور الأيام توقف الناس عن التحدث عن رحلتها العجيبة الى لندن، فارتاحت لذلك كل الارتياح.

واستأنفت عملها في العيادة، وكانت تذهب مع برندن في نزهة بالسيارة بعد ظهر يوم الأحد، أو تتمشى برفقته في الغابة المجاورة التي كانت أرضها مفروشة بالزهور الربيعية المنتشرة الأريج. وكانت، بين الحين والآخر، ترافقه أيضاً الى السينما، وأحياناً الى حفلة راقصة قبل الوداع. وبذلت كوينسي جهدها لكي تخفي عن برندن ان عناقه لها لم يكن يحرك فيها ساكناً. حتى خفقان قلبها لم يكن يتأثر.

وفي احدى الليالي، وهما عائدان من السهرة، تراجع الى الوراء ونظر اليها قائلاً:

ـ انني أضيع وقتي معك، اليس كذلك؟ يبدو لي ان الشرارة لا تنقدح بيننا.

ـ أنا آسفة يا برندن...

فقاطعها قائلاً:

ـ لا وجوب للأسف، فهذا يزيد الطين بلة. واذا كنت لا تستطيعين ان تشعري نحوي الا هذا القدر من الشعور، فالأفضل ان نضع حداً لمحاولاتنا... ولا أريدك ان تعتذري على ذلك!

فنظرت الى وجهه وقالت وهي تكاد تنفجر بالضحك:

ـ أرجوك يا برندن، لا تعبس هكذا!

ـ وهل أنا عابس؟ هيا، دعينا ننهي ليلتنا هذه.

ـ ونحن صديقان؟

ـ طبعاً.

وفيما بعد، حين أوت كوينسي الى فراشها تذكرت وداعها هذا لبرندن فقهقهت ضاحكة، غير ان ضحكتها كانت ممزوجة بالحزن والأسى. فلو لم تذهب الى لندن بعد لقائها جو الدونيز، لأخذت برندن بجدية أكثر وسمحت لعلاقتها ان تتطور الى حب فزواج. أما الآن، فهذا لم يعد ممكناً، للتغيير الذي أحدثته فيها خبرتها الجديدة. وكنهاية كل شيء كانت نهاية علاقتها مع برندن محزنة، خصوصاً أنه كان جزءاً من حياتها منذ خمس سنوات. وأدركت أنها ستفتقد الوقت الذي كانا يصرفانه معاً في السهر والتنزه بين الأشجار خلال عطلة آخر الاسبوع.

وفيما كان الصيف يقترب نحو أوجه، رافقت كوينسي والدها في أحد الأيام، وهو يقوم بجولة تفقدية من مزرعة الى مزرعة، ومن قرية الى أخرى. وكانت تساعده في عمله عند الحاجة، ولكنها على العموم لم تكن ترافقه الا لمجرد التنزه واللهو.

وفي صباح أحد الأيام من حزيران (يونيو) قامت مع والدها بزيارة مزرعة هوغ. وفيما ذهب والدها برفقة جم ستيفنز الى حظيرة البقر، جلست كوينسي في المطبخ تتحدث الى بيني وحماتها التي كانت تطعم ديفيد على الرغم منه.

فقالت له والدته مؤنبة، وهي تدفع خصلة من شعرها الى الوراء:

- عليك ان تأكل طعامك يا ديفيد.
ونظرت اليها حماتها وهي عابسة وقالت لها:
- لا أراك على ما يرام يا ابنتي. انت ترهقين نفسك... لا أظن أنك بحاجة الى العمل الشاق، فخذي راحتك من وقت الى آخر.
- أنت على صواب، فأنا أشعر بالارهاق. ولكن كيف لي ان ارتاح وديفيد يتوجع من خروج اسنانه، حتى انني اتساءل أحياناً كم سن وضرس سيكون له. ولأسابيع مضت الآن وهو يفيق في الليالي، وعليّ ان أفيق معه.
ولم يرق هذا الكلام لديفيد، فعض على الملعقة التي في يده، فنزعتها السيدة ستيفنز منه بصعوبة وهي تصيح بحفيدها غاضبة. ثم التفتت الى بيني قائلة:
- ما تحتاجين اليه هو فرصة للراحة والاستجمام.
- ولكن جم لا يستطيع ان يأخذ وقتاً من عمله في المزرعة، قبل الخريف.
- اذن، فاذهبي وحدك حيث تشائين، وأنا أهتم بالبيت وبديفيد... وهذا يسرني جداً.
- لا أقبل بذلك، فهو حمل ثقيل عليك.
- لا تقلقي. المهم ان تأخذي فرصة لمدة أسبوع.
- ولكن لا أعتقد أني أتمتع بالفرصة وحدي، ولن أحاول اقناع جم بترك المزرعة، في عز الصيف، لمرافقتي... وأنت تعرفين ذلك.
فردت عليها السيدة ستيفنز قائلة:
- والده يستطيع وحده ان يتولى أمر المزرعة في غيابه.
وقالت كوينسي:
- اذا قررت الذهاب واردت من يشاركك النفقات، فأنا مستعدة ان أرافقك.
فبادرتها بيني الى القول:
- هل انت جادة في ما تقولين؟

ـ نعم، وكيف لا؟ فأنا بحاجة أيضاً الى فرصة.
فسألتها بيني قائلة:
ـ وأين نذهب؟
ـ الى مكان فريد ومثير. . .
ـ مثل بلاكبول مثلاً؟
فعبست كوينسي وهي تجيب قائلة:
ـ ولماذا لا نسافر الى خارج البلاد؟ الى باريس مثلاً.
فقالت بيني:
ـ هذا يكلف نفقات باهظة.
ـ اذن، ما رأيك بهولاندا؟
ـ لا تعجبني. قضيت فيها أسبوعاً وحلفت ان لا أعود اليها مرة ثانية.
فاقترحت السيدة ستيفنز الحصول على منشورات بعض وكالات السفر، والاطلاع فيها على المعلومات المطلوبة التي تساعد على اختيار البلد الأنسب لزيارته. فأجابتها بيني قائلة:
ـ أنت امرأة عملية حقاً.
قالت ذلك وقد أشرق وجهها ولمعت عيناها من شدة الحماسة لهذا الاقتراح. ثم ان مجرد فكرة السفر للابتعاد عن كل المضايقات التي ترهقها ازالت ملامح الاستكانة من وجهها الفتي.
وبعد بضعة أيام، تلفنت بيني لكوينسي، فيما هي مشغولة بإطعام الحيوانات المريضة في العيادة، وقالت لها:
ـ حصلت على بعض المنشورات، فهل تأتين الى هنا للاطلاع عليها سوية؟
ـ بكل سرور. سأنتهي من عملي في الثالثة، بعد الظهر، ثم آتي اليك. . .
ووضعت السماعة في مكانها وهي تبتسم. وفي الثالثة قادت السيارة الى بيت بيني. وكانت الشمس مشرقة وهي تميل نحو

الغروب، والحر ينعقد سراباً على مد النظر. وكان العشب على جوانب الطريق داكن الخضرة، والزهور البرية تلوي أعناقها من تعب النهار الحار.

وحين وصلت الى البيت، وجدت ديفيد نائماً في ارجوحته التي في الحديقة، وعلى وجهه براءة الطفولة الناصعة. واستقبلتها بيني بترحاب وسارت بها الى داخل البيت وهي تقول لها:

- ديفيد وهو نائم غيره وهو مستيقظ يجري هنا وهناك، لا يترك شيئاً الا ويقلبه رأساً على عقب، أو يحطمه كما فعل بأناء الزهور هذا النهار.

فقهقهت ضاحكة، فيما قالت بيني:

- من حقك ان تجدي ذلك مضحكاً. ليتني في يوم من الأيام، حين يمر الزمن على ما أعانيه من تصرفات ديفيد، أستطيع أن أجده أنا أيضاً مضحكاً.

وجلستا في المطبخ تتناولان الشاي وتتصفحان المنشورات، وهما تحلمان بفرصة في أكابولكو أو في سفينة تمخر بهما مياه جزر الباهاما، وذلك قبل ان يتحول حلمهما الى واقع تحدده النفقات المالية التي في وسعهما تحملها.

وقالت بيني وهي تتأمل الصور الملونة التي تمثل بعض المشاهد الأسبانية:

- اسبانيا أقل كلفة من سواها.

وشاركتها كوينسي في تأمل الصور، فرأت ان هنالك شبهاً بين مصارع الثيران وبين جو الدونيز، فكلاهما يتصفان بسواد الشعر وسمرة البشرة.

وسألتها بيني، بعد قليل، قائلة:

- ما رأيك؟

فاضطربت كوينسي وعادت عن شرود ذهنها وأجابت:

- رأيي؟

ـ نعم، رأيك. يبدو لي انك لم تكوني صاغية.

ـ كيف لا؟

وكان جو حدثها طويلاً عن اسبانيا، ومع انه هو نفسه لم يزرها بعد، الا انه كان يثني عليها ويمتدحها كثيراً، حتى ان كوينسي تمنت، هي الأخرى، ان تزورها يوماً ما، وازداد شعورها بأنها اذا ذهبت الى اسبانيا فانها تقترب من جو وتستزيد من فهمه وتفهمه.

فقالت:

ـ اسبانيا فكرة عظيمة...

ـ اذن، اتفقنا.

وأشارت في المنشور السياحي الذي بين يديها الى تسعيرة تتضمن نفقات السفر والاقامة في الفندق مع الطعام، ثم قالت:

ـ هذه التسعيرة معقولة وبامكاننا تحملها.

ـ أين هو هذا المكان السياحي الذي سننزل فيه؟

فقامت بيني من مقعدها وأتت بخريطة للعالم، بما فيها اسبانيا، وراحت تبحث مع كوينسي عن ذلك المكان الواقع على أحد الشواطىء الاسبانية الشهيرة. وكانت كوينسي بالاضافة الى ذلك، تبحث في الخفية عن اسم القرية التي أخبرها جو ان والدته تنتمي اليها.

وسألتها بيني قائلة:

ـ هل انت موافقة؟

ـ اذا استطعنا الحجز في هذا الفندق، فهذا يسرني كثيراً.

قالت ذلك وقد وجدت اسم القرية وعلمت ان الفندق لم يكن على مسافة بعيدة عنها.

وقالت لها بيني:

ـ قد لا يكون هنالك غرفة شاغرة في هذا الفندق، خصوصاً في مثل هذا الوقت من السنة. ولكن ما علينا الا ان نسأل. وفي رأيي انه يجب ان نختار فندقاً أو فندقين آخرين تحسّباً، فأيهما نختار؟

فأجابتها كوينسي قائلة:
- لا فرق. اختاري أنت وأنا أوافق.
واثارتها فكرة زيارة اسبانيا الى حد بعيد، ولكنها حرصت على ان لا تعرف بيني ما كان يجول في خاطرها. ولذلك رأت ان عليها ان لا تذكر اسم جو الدونيز ولا انه متحدر من أصل اسباني.
ولحسن حظهما وجدتا مكاناً لهما في الفندق، بل ان وكالة السفر خيرتهما بين تاريخين للحجز، فاختارت بيني آخر أسبوع من شهر حزيران (يونيو)، لكي يتاح لهما توفير المزيد من المال. وصدف ان الطقس في ذلك الأسبوع انقلب فجأة الى طقس هبت فيه رياح صقيعية من الشمال، حملت معها امطاراً غزيرة، فكان سرورهما عظيماً لنجاتهما من هذا الطقس والتمتع بطقس آخر يعد بالدفء، والبحر، والاستلقاء بهناء على الشاطىء.
وبعد ان التقطت بيني ابنها ديفيد وسلمته الى حماتها، اتجهت نحو المطار وهي تؤنب نفسها على مفارقة ابنها، وتتخوف من انه قد يحن اشتياقاً اليها، او انه قد يصاب بأذى لشيطنته.
وصاحت بها كوينسي:
- اسكتي... كفاك! سيكون ديفيد بألف خير، وستعتني به حماتك عناية شديدة وأنت تعلمين ذلك، فلماذا الخوف والقلق؟ وأريد ان أنذرك ان لا تعودي الى مثل هذا النق والنقيق، والا رميت بك من شباك الطائرة...
فأجابتها بيني قائلة:
- كنت دائماً على علم بأنك تفتقرين الى الحنان.
ولزمت الصمت نزولاً عند طلب كوينسي، ولكنها بعد نحو نصف ساعة أخذت تتحدث عن زوجها جم، فقالت:
- نسيت ان أجلب بزته الرمادية من المصبغة... يجب أن أتلفن الى البيت وأخبرهم بذلك، فهو يرتديها عند الذهاب الى جلسة المجلس البلدي.

فقالت كوينسي بغضب:

- الغاية من هذه الفرصة هي الابتعاد عن مشاكلنا. فانسي جم وبزته الرمادية، وانسي ديفيد وشيطنته... وفكري فقط بهؤلاء الاسبان ذوي العيون السود..

فقاطعتها قائلة:

- اذكرك اني امرأة متزوجة وفاضلة!

- وصفتهم لك ولم أزد على ذلك.

- هل تعلمين من الذي قال ان الرغبة مردها في الأكثر الى المخيلة!

- لا أعلم. هل تعلمين أنت؟

- كلا. وعلى كل حال، ففي هذا القول كثير من الصحة!

ووصلتا الى أسبانيا وسط عاصفة هائلة وبرق ورعد قاصف. ونقلتهما الى الفندق سيارة عمومية تغص بالركاب، من نساء متوترات الاعصاب في ثياب صيفية، ومن رجال يرتدون قمصاناً قصيرة الاكمام ويلعنون الطقس غاضبين.

على ان الطقس في اليوم التالي صار أفضل بكثير. فكانت السماء صافية زرقاء، والشمس مشرقة، تعيد الى ذلك المنتجع السياحي رونقه الذي يبعث الابتسامة على الشفاه.

وقضتا ساعات الصباح على الشاطىء، وهما تستلقيان على الرمل الناعم تحت المظلة، أو تتمشيان بين السابحين والسابحات، أو تداعبان الامواج وتسبحان كسمكتين ذهبيتين. وكان في الجوار مقهى يحتوي جميع أنواع المرطبات لمن يشاء.

وقالت بيني وهي مستلقية مغمضة العينين:

- هذه هي الحياة!

وكانت كوينسي جالسة الى جانبها تدهن بشرتها بزيت خاص. وأحست ان جسمها ينعم بالدفء، وقد بدأ يميل الى السمرة تحت شعاع الشمس. ورأت ان عليها ان لا تعرضه للشمس الا ببطء لئلا يتشقق جلدها فتفسد عليها عطلتها. ثم عادت الى الاستلقاء،

وأغمضت عينيها وهي تغالب النعاس على صوت الامواج والاجواء المحيطة بها.

وعادتا الى الفندق لتناول طعام الغداء. وفي الطريق الظليلة المؤدية الى الفندق، توقفت بيني فجأة أمام حانوت صغير يبيع دمى والعاباً محلية للأطفال، وقالت لكوينسي بلهفة:

- انظري الى هذا الدب الزهري اللون، سأشتريه لديفيد، وهو سيعجب به، ولا شك، اعجاباً بالغاً.

قالت ذلك ودخلت الى الحانوت، تاركة كوينسي وحدها تتمشى على الرصيف وهي تتطلع ببصرها نحو البلدة التي كانت ميناء صغيراً للصيد قبل ان تتحول الى منتجع سياحي، ذي بيوت واطئة بيضاء فوق منحدر يتصل بالميناء، وبنايات شاهقة حديثة الطراز بنيت بالاسمنت والزجاج.

واسترعى العابرون انتباه كوينسي واهتمامها. وابتعدت قليلاً ووقفت عند الزاوية تراقب الجمع يتجه نحو بناء شامخ في آخر الزقاق الضيق.

وبدا لها البناء غريباً في هندسته، مما جعلها تتساءل عن الغاية منه. هل هو محطة للقطار؟ أم دار اوبرا؟ كانت القناطر الغوطية تقوم على بعض جنباته، فبدا لها شبيهاً بالكولوسيوم في روما. واذن، فالجمع الذي كان يتدفق نحوه، انما كان معظمهم من السواح الذين أرادوا التفرج عليه، قبل الاستسلام في احضان الشمس المشرقة بحرارتها اللاهبة على الشاطىء.

وفجأة سمعت صوت سيارة تقف وراءها وهي تزمر بشدة. والتفتت لترى الخبر، فاذا بها تشاهد سيارة بيضاء خرجت عن صف السيارات على الطريق وصعدت الى الرصيف. ثم لمحت رجلاً يقفز منها ويتجه نحوها، متجاهلاً قوانين السير وتأنيب السائقين.

وظنت كوينسي، لوهلة، ان مخيلتها شردت بها. ولكنها لم تلبث ان ادركت ان ذلك الرجل، بقيافته وطريقة سيره، لا يمكن الا ان

يكون جو الدونيز.

فاستولى عليها الذعر وركنت الى الفرار في الجهة المعاكسة، ناسية بيني وكل شيء آخر، في سبيل ان تنجو من مجابهة جو مرة اخرى.

وصاح بها منادياً:

ـ كوينسي!

وكان في صوته نبرة غضب دفعتها الى الاستمرار في الهرب، بدل الامتناع عنه. ولكنه تمكن من اللحاق بها، فسألها قائلاً:

ـ ماذا تفعلين هنا؟!

ـ أنا في عطلة... والا فماذا كان يجيء بي الى هنا؟ وأنت، ماذا تفعل هنا؟ ظننتك في أميركا.

قالت ذلك لئلا يعتقد انها جاءت الى هناك بحثاً عنه، مع ان الأمر كان كذلك، عن وعي أو عن غير وعي منها.

وقال لها جو:

ـ وأنا في عطلة أيضاً... أتصدقين ذلك؟ قرر مدير أعمالي اني صرت بحاجة ماسة الى عطلة، واقترح علي ان اقضي شهراً هنا في اسبانيا، حيث يمكن لوالدي ان يرافقاني للتفرج على البلاد...

ـ وهل هما معك؟

ـ نعم. وهم يقضيان شهر عسل ثان، كما أخبراني!

فقهقهت ضاحكة وقد استغربت ذلك، فتابع جو كلامه قائلاً:

ـ أنا أحب والديّ.

قال ذلك وألقى نظرة سريعة على قامتها الهيفاء قائلاً:

ـ أرى أنك كنت على الشاطىء!

فأشارت برأسها عُلامة الايجاب. وسرها انها كانت ترتدي ثوباً كتانياً أصفر فوق ثوب السباحة. ولم تسمر بشرتها بعد، ولكنها صارت وردية اللون تنضح بالصحة والعافية. وكان جو، طبعاً، أسمر اللون الى حد السواد، لكثرة ما تعرض لشعاع الشمس منذ مجيئه.

وسألها قائلاً:

- كيف حال العائلة؟

- بخير شكراً.

- والترنزيستور؟ هل أعجب بوبي؟

- جداً. الفضل لك انك تذكرت وعدك له!

- لا فضل لي في ذلك. كان جزءاً من الصفقة التي عقدتها معك...

فاضطربت لهذا الكلام، لأنه ذكرها بتلك الأيام التي قضتها في لندن والتي لم تكن ألا من أجل الدعاية له. فالمسألة كانت تجارة في تجارة، لا أكثر ولا أقل. واذا كان غازلها، فذلك لا يعني له شيئاً. وفي الأسابيع التي تلت وهما مفترقان، قد لا يكون تذكرها على الاطلاق، فيما هي لم تستطع نسيانه، بل بقي كأغنية لا تحفظ جيداً، ولكنها تبقى عالقة في الذاكرة، فتقلق وتزعج ليل نهار. وحرصت على عدم التحدث عنه الى أي انسان، على أمل ان تنساه، ولكنها بذلك لم تفعل سوى انها أغلقت عليه في أعماق ذاكرتها عبثاً، اذ بقيت تستعيد أيامها معه، كلما سمعت احدى أغانيه في الراديو، أو قرأت كلمة عنه في الصحف.

وسألها جو قائلاً:

- هل أنت وحدك هنا؟

- كلا، مع صديقة.

قالت ذلك وتذكرت ان بيني في الحانوت، ولا بد ان تكون قلقت لغيابها.

- وبرندن؟

- برندن؟ ماذا عن برندن؟ انه ليس معنا. أنا مع صديقة حميمة منذ أيام الدراسة، اسمها بيني ستيفنز. وكنت انتظرها هنا، فهي في الحانوت تشتري دمية لأبنها الصغير ديفيد. ولا بد ان يكون انشغل بالها علي، فيجب ان أذهب اليها في الحال، قبل ان تستدعي

البوليس!

ولم يحاول جو هذه المرة ان يقف في طريقها، فتراجع عنها وهي تميل عنه وتسير في اتجاه الحانوت. وسار جو الى جانبها، ولما أخذ بعض المارة يتعرفون اليه، اشارت عليه كوينسي ان يضع نظارتيه السوداوين على عينيه، ففعل.

وقالت له:

- استغرب كيف انك تستغني عن حرس يحرسونك!

- في أميركا احتاج الى حرس، ولكني لم اعتقد اني بحاجة الى حرس هنا.

وكانا يسيران جنباً الى جنب في الزقاق الذي يؤدي الى الشاطىء. وكان في استطاعتها ان تلمح زرقة البحر وصفاء الأفق والسماء فوقه.

وقال لها جو:

- ستحبينها.

فالتفتت اليه متسائلة:

- من هي؟

- أمي. ونحن نازلون في فندق على مسافة بضعة أميال من هنا. فهل تقبلين دعوتي الى الغداء غداً؟

وكانا وصلا الى حيث أوقف جو سيارته، وقبل ان تجيبه كوينسي على دعوته أعترض سبيلهما رجل بوليسٍ ضخم طويل القامة كان يلف ويدور حول السيارة، وصاح قائلاً:

- والآن يا سنيور...

وتابع بالاسبانية كلاماً غاضباً لم تفهم منه كوينسي شيئاً. ولكن سرعان ما قاطعه جو والقى يده على ذراعه وخاطبه ببضع كلمات. ثم التفت الى كوينسي وسألها قائلاً:

- أين تقيمين؟

- في فندق مدريد.

- انتظرك على الغداء يوم غد... أرجوك ان تحضري يا

كوينسي. سآتي الى الفندق واصطحبك معي الى هناك.

وكان البوليس ينتظر والعبوس باد على وجهه. وتنهدت كوينسي قبل ان تودع جو، تاركة اياه يحل مشكلته مع رجل القانون.

وتأخرت عن موعد تناول طعام الغداء في الفندق، فوجدت غرفة الطعام فارغة. وحين دخلت الى غرفتها، هبت بيني الى استقبالها بقلق وصاحت غاضبة:

- أين كنت... بربك أخبريني أين كنت؟

- آسفة، لا شك ان بالك انشغل علي!

- وكيف لا؟ كنت على وشك أن أخبر رجال الأمن باختفائك. فماذا حدث لك؟ وكيف اختفيت هكذا فجأة؟ وظننت انك عدت الى الفندق، فركضت طول الطريق، لعلني أجدك. وحين لم أجدك حرت ماذا أفعل... أخبريني أين كنت طيلة هذا الوقت؟

- صادفت في الطريق صديقاً قديماً.

- حذار... لا تدعي أحد الشبان الاسبان يختطفك. كوينسي، أنا لا أمزح... انتبهي!

ولم تستطع ان تحمل نفسها على الاعتراف بأن الذي صادفته كان جو الدونيز، مع العلم ان بيني ستكتشف الحقيقة غداً حين يأتي ليصطحبها الى فندقه لتناول طعام الغداء مع والديه.

وظهرت الدهشة على وجه بيني، كما كان منتظراً، لأنهما كانتا صديقتين حميمتين منذ عهد الطفولة. وسألتها قائلة باصرار:

- انت لا تعرفينه.

- لا اعرفه؟ انت لا تقولين الحقيقة يا كوينسي!

- نعم، اني أقول الحقيقة.

- كلا، انك تخفينها عني، فهل هو صديق من نوع خاص؟

- نعم.

- والى حد لا يمكنك الافصاح عن اسمه؟

- نعم. ويؤسفني انك قلقت علي. وكان من الواجب ان لا

أفارقك هكذا من دون أن أعلمك... ولكن...
- ولكن نسيت انني في الوجود، أليس كذلك؟
فضحكت كوينسي بارتباك وحيرة، فبادرتها بيني بالقول:
- انه الحب، على ما أرى.
فارتعشت كوينسي لكلامها وهمت بالخروج الى غرفتها، حين سألتها بيني قائلة:
- هل تناولت طعام الغداء؟
- كلا، ولكني لست جائعة. أريد أن استحم، واني اشعر بقليل من الصداع.
- حسنا. علي ان اشتري بعض الهدايا، ولذلك سأتجول في السوق وانت تستحمين وتأخذين قسطاً من الراحة.
وأثنت كوينسي على كلامها وسرها ان تخلو الى نفسها. وسارت الى غرفة الحمام ووقفت تحت رذاذ الماء الساخن بعينين مغمضتين، مفسحة في المجال لملوحة البحر ان تخرج من شعر رأسها، وللسخونة ان تدخل الى مسام بشرتها الملوحة بشعاع الشمس. وكان قلبها يخفق بسرعة غير عادية، كما لو كانت تشكو من مرض مزمن. ترى، هل هي حقاً مغرمة بجو الدونيز، حتى قبل ان تتعرف اليه؟ فالى ان تعرفت اليه شخصياً، كان حلماً وخيالاً، ثم أصبح حقيقة واقعة في حياتها.
ولفت نفسها بمنشفة كبيرة وجلست أمام المرآة تجفف شعرها وتنظر الى صورتها بشيء من القنوط. لماذا قالت لها بيني ذلك الكلام؟ كان بامكانها ان تستمر في ادعائها انها لا تدرك لماذا كانت مشاعرها عميقة... واما الآن فكان عليها ان تواجه هذه المشاعر ولو أوجعتها، لأن حبها لجو كان حباً سخيفاً ولا طائل تحته. ذلك ان جو لن يستطيع ان يبادلها هذا الحب، لأنه لا يشعر به نحوها. صحيح انه عانقها في لندن، ولكن ذلك لم يحدث الا لأنها كانت هناك، فتصرف معها تصرف رجل له عاطفته الخالية من أي صلة بعاطفة

الحب. وهي قد ادركت ذلك في حينه. ولكنها الآن، على الرغم من هذا الادراك، أحست بالاحمرار يصعد الى وجنتيها عندما تذكرت كيف جاء الى شقة ليلي تلك الليلة وهو مرهق واخذها بين ذراعيه على المقعد، وفي عينيه تلك اللغة الجامحة. ولعل ذلك كان الحافز الذي جعل مشاعرها تتعمق الى عاطفة حقيقية صادقة، خصوصاً حين كادت تندفع اليه بكل كيانها. فكل ما تعرفه الآن عن الحب تعلمته في تلك الليلة، وهي منذ ذلك الحين تحن اليه وتتمنى الاستزادة منه.

وارتدت ثيابها بسرعة واضطجعت على السرير، والستائر مسدلة والغرفة في ظل ظليل. وأخذت عروقها تنبض من شدة الكآبة والشقاء. كيف ستواجهه غداً؟ وكيف تتحدث اليه وتنظر في عينيه بعدما تأكدت كم هي مغرمة به؟

وعادت بيني، بعد ذلك بساعة، وطرقت باب الغرفة. وابتسمت لها كوينسي بصعوبة وقبلت ان ترافقها الى المسبح، لأن أي شيء تفعله كان أفضل من البقاء وحيدة في الغرفة مع افكارها الكئيبة. ثم ان تظاهرها بالمرح قد يجعلها بالفعل تشعر كذلك.

ونامت نوماً مزعجاً تلك الليلة، وفي الصباح حملت نفسها حملاً على تناول طعام الفطور. فقالت لها بيني:

- ألست جائعة؟

- انني أشعر بصداع.

- أخشى ان تكون ضربتك الشمس. ألم انذرك بخطرها؟

- نعم.

قالت ذلك وتساءلت لماذا لا ينذرها أحد بالخطر الذي يتهددها من حبها لجو؟ ولو فعل، فهل كانت تسمع له؟ هي تدرك الخطر ولا تحتاج الى من ينذرها، ومع ذلك فلا تأبه ولا ترعوي. فكأنما الحب قدر لا يمكن الهرب منه، والا فما معنى ان تقع في حب الدونيز ولا تستطيع الخلاص؟

وحارت كيف تخبر بيني بدعوة جو لها الى تناول طعام الغداء.

وأخيراً قالت لها ببساطة ومن دون ان تنظر اليها:
- انني مدعوة الى تناول طعام الغداء اليوم...
- صحيح؟ وكيف ذلك؟ كنت اتساءل متى تصارحينني القول.
- وماذا تقصدين؟
- اقصد اني توقعت ان تختفي مرة اخرى... فلا بد انكما تواعدتما على اللقاء هنا في هذه البلاد.
- لم نتواعد... لقيته صدفة!
- لا تكذبي علي. أنا لم أولد البارحة، ولا أؤمن بالصدف! وعلى كل حال، أرجو ان لا يكون متزوجاً.
وفوجئت بهذا السؤال وأجابت:
- كلا، انه عازب.
- ولماذا كل هذا الكتمان، اذن؟
وترددت في الجواب، ثم قالت:
- لأني لا أريد ان أتحدث في هذا الموضوع، لأن لا شيء يستحق الذكر، الآن على الأقل!
- فهمت... انت لا تعرفين بعد نوع علاقتك به.
- نعم.
ولم تشأ بيني ان تسهب في هذا الحديث. وتركتها كوينسي مستلقية على الشاطىء، فيما عادت الى الفندق لتهيىء نفسها استعداداً لمجيء جو.
وفتحت خزانة ثيابها وحارت ماذا تلبس لهذه المناسبة التي ستتعرف فيها الى والديه. على ان مجال الاختيار كان ضيقاً، اذ لم تحمل في حقيبتها الا القليل من الثياب، اعتقاداً منها انها لن تحتاج الى الكثير. وبعد التفكير وقع اختيارها على ثوب حريري أبيض اللون، مطرز بعروق خضراء. كان ثوباً عادياً، ولكنه على قدر كاف من الاناقة والذوق السليم.
ووصل جو في الموعد المعين، اي في الثانية عشرة، فكلمها

بالتلفون من بهو الفندق، ثم نزلت من غرفتها فوجدته بانتظارها.
كان يضع على عينيه نظارتين سوداوين ويتأمل، وهو واقف بقامته الفارعة، في صورة معلقة على الحائط. وحين وقع نظرها عليه خفق قلبها خفقاناً شديداً، وأحست بتوترٍ في اعصابها.

وقال لها وهو يقبل نحوها مرحباً:

- انت رائعة الجمال في هذا الثوب الجميل.

فشكرته على مديحه، ثم سار بها الى سيارته المتوقفة في الخارج.
وفيما هما في الطريق، لمحت كوينسي صديقتها بيني في الشارع وهي تحمل حقيبة السباحة على ذراعها، فمالت بنظرها عنها لئلا تراها مع جو.

وسألها جو قائلاً:

- هل وجدت صديقتك البارحة؟

فاجابت بالايجاب وقالت:

- أرجو ان لا يكون ظلي ثقيلاً على والديك، فأنا غريبة بالنسبة اليهما.

- لن تكوني غريبة...

وقبل ان يتسنى لها ان تسأله عن معنى كلامه، تابع قائلاً:

- الى متى تدوم فرصتك هنا؟

- وصلنا الى هنا منذ يومين، ونأمل ان نقضي مدة أسبوع.

- مدة أسبوع فقط؟

فتمتمت قائلة:

- هذا كل ما نستطيع احتماله، اعني من حيث النفقات.

- كنت اتمنى ان تكون المدة أطول.

وساد الصمت بينهما الى حين، والسيارة تشق طريقها مسرعة بازاء الشاطىء.

وكان الفندق الذي ينزل فيه ضخماً وحديثاً، تحيط به الجنائن الغناء، ذات الاشجار الوارفة الظلال. وكان في وسطها مسبح،

بنيت شرفاته بالحجارة المحلية الطبيعية وغصت بالطاولات والكراسي والمظلات الزاهية الالوان. وكان الزبائن شرعوا في تناول طعام الغداء، على أنغام الموسيقى الناعمة الحالمة.

وتبعت كوينسي جو الى احدى الموائد، حيث وقف والداه لاستقبالهما. فعرفهما اليها وهي تتساءل في نفسها لماذا كان عليه ان يفعل ذلك، ام انه اعتاد عليه.

وتمكنت من الابتسام حين مد السيد الدونيز يده مصافحاً. كان طويل القامة كولده، ذا شعر كث شائب ووجه رقيق كالح. وكانت عيناه حاذقتين يشع من نظراتهما الدهاء.

غير انها كانت أكثر توتراً حين التقت والدته. كان كل ما أخبرها عنها يوحي بانه يحبها حباً جماً، ولذلك من المهم جداً، بنظر كوينسي، ان تحظى باعجابها.

ورحبت بها السيدة الدونيز بكلام جميل يتحلى بالبساطة والدفء. كانت بشرتها بلون الذهب العتيق، وشعرها اسود يتجمع في قمة رأسها وقد خطه الشيب هنا وهناك، وعيناها حادتين كعين ولدها. وقالت لها:

ـ تفضلي أجلسي. ماذا تريدين ان تشربي قبل ان نطلب الطعام؟

وجاء جو بكرسي ووقف خلف كوينسي، فيما هي تجلس. وشعرت برؤوس أصابعه على كتفيها، تلامسانها بشيء من التشجيع والمداعبة في آن معاً.

وحين أقبل الخادم، طلب هو بعض المقبلات. وسألتها السيدة الدونيز قائلة:

ـ هل هذه هي أول زيارة لك الى اسبانيا؟

ـ نعم، هذه أول زيارة لي.

ـ هل تتمتعين بها؟

ـ نعم، وكنت أتمنى لو لم يكن علينا ان نعود الى بلادنا بمثل هذه السرعة. فاني ارغب في مزيد من مشاهدة هذه البلاد الرائعة.

فقالت لها السيدة الدونيز:

- ليتك تذهبين الى الجبال. فاسبانيا الحقيقية ليست في منتجعاتها الساحلية، بل في جبالها.

- ربما استطعنا الذهاب في نزهة سياحية منظمة، في غضون اقامتنا هنا.

- أو ربما يكون في استطاعتك العودة الى زيارة اسبانيا في القريب العاجل. فهي بلاد صالحة جداً لقضاء شهر العسل.

قالت ذلك ونظرت الى جو مبتسمة وهي تقول:

- أليس كذلك يا جو؟

فصعد الاحمرار الى وجه جو، مما أثار استغراب كوينسي. ونظر اليها نظرة عابرة، فشعرت ان قلبها يذوب في داخلها. فأشاحت ببصرها عنه وهي تتساءل لماذا نظر اليها تلك النظرة؟

وفيما هم يتناولون المقبلات، لم تتكلم كوينسي الا قليلاً، فيما تحدث السيد الدونيز طويلاً عن الطقس في أميركا، وقلقه بخصوص موسم تلك السنة.

وقال له جو بشيء من الاحتجاج:

- كل سنة تردد هذا الكلام... فيا لك من رجل متشائم!

وقالت السيدة الدونيز:

- كل المزارعين متشائمون، لأن الطقس لا يمكن التأكد منه.

وقال جو:

- كوينسي ليست معنية ببرتقالنا.

فنظر الجميع اليها بابتسام. فاحمرت وجنتاها حياء وقالت:

- لم يخطر ببالي ان أحداً يغرس برتقالاً، بل كنت أعتقد ان البرتقال يظهر فجأة في الأسواق فاشتريه...

فسألها جو قائلاً:

- وأين حب الاستطلاع عندك؟

فاجابته، فيما ظهرت الابتسامة على فم السيدة الدونيز:

ـ الآن، وقد علمت شيئاً عن منشأ البرتقال، فسآكله بمزيد من اللذة!

وقالت السيدة الدونيز:

ـ وعدنا جو ان يترك الغناء يوماً وينصرف بكليته الى الاعتناء ببساتين البرتقال. وهو الآن يبني منزلاً له على أرض اشتريناها منذ وقت قصير.

ووافق السيد الدونيز على كلامها قائلاً:

ـ سيكون منزلاً رائعاً.

وقال جو:

ـ هل نحن على استعداد لطلب طعام الغداء؟

وطلبوا طعام الغداء، فتناولوه ببطء ومرح. وحين نهضوا عن المائدة كان النهار بدأ يميل الى الغروب. وأخذوا يتنزهون تحت الاشجار الظليلة، فيما كوينسي تسير الى جانب السيدة الدونيز التي اخذت تستخبرها عن عائلتها ومهنتها وقريتها.

وقالت لها:

ـ لم أزر انكلترا في حياتي. وكم اتمنى ان أزورها يوماً.

ـ ليتك تفعلين. فهي بلاد جميلة جداً مثل اسبانيا. وأريد ان اسألك كيف وجدت اسبانيا بعد غيابك عنها؟

ـ انها بلاد فقيرة بالنسبة الى أميركا، خصوصاً قبل الحرب.

ـ اخبرني جو ان ايامك الاولى في أميركا لم تكن مريحة.

فابتسمت السيدة الدونيز وقالت:

ـ وهو اخبرنا عنك كثيراً ايضاً!

ـ صحيح؟

ـ هل هذا فاجأك واقلقك؟

ـ نعم، وماذا قال؟

ـ اسأليه...

قالت ذلك وأضافت وهي تبتسم:

ـ لا اراك جميلة كما توقعت!
ـ آسفة لأني خيبت أملك . . .
ـ لم يخب أملي، بل على العكس، أنا مسرورة جداً.
ـ صحيح؟
ـ نعم. ولما اخبرني جو عنك انتظرت ان اجدك فتاة كالتي يتعرف عليهن . . . اعني من الحسناوات المتبرجات اللواتي يرتمين على قدميه كل حين . . .
ـ وانت توقعت ان أكون كاحداهن، أليس كذلك؟
ـ نعم، ولكن جو كان يصر على القول انك لست كاحداهن.
ـ قد يكون مخطئاً في رأيه . . .
ـ كلا، ولذلك سرني انك فتاة لا تتوخين البهرجة والتصنع، وتتركين نفسك على سجيتها. وهذا ما احبه في كل فتاة.

وشكرتها كوينسي على كلامها، ثم اقبل جو ووالده وانضما اليهما. ونظر جو الى ساعة يده وقال:
ـ يجب أن أعود بكوينسي الى فندقها لئلا تقلق عليها صديقتها.

وصافحتهما كوينسي مودعة وشاكرة لهما ضيافتهما. وفوجئت بعناق السيدة الدونيز لها، فكان ذلك عزاء لها على كونها فتاة عادية لا شأن لها.

وسألها جو وهما في الطريق:
ـ هل تمتعت حقاً بلقاء والديّ؟
ـ جداً.
ـ وهل أعجباك؟
ـ كيف لا؟ أعندك شك في ذلك؟
ـ كلا. كنت على ثقة انك ووالدتي ستتبادلان الاعجاب.

وتأكدت من ذلك حين رأيتكما تتحدثان بمثل تلك السهولة والعفوية بعد الانتهاء من تناول الطعام... أخبريني، ماذا قالت لك؟

- لا شيء يستحق الذكر.

- والدتي لا تقول كل ما تعنيه بالفعل.

- هذا ما بدا لي.

وأوقف جو السيارة تحت ظل شجرة على جانب الطريق، فتساءلت كوينسي لماذا فعل ذلك.

وسألها قائلاً:

- هل صارحتك والدتي بالأمر يا كوينسي؟

ولم تفهم ماذا يعني بكلامه، فقطبت جبينها، والتفت اليها بعصبية وقال:

- نسيت ان أحذرها من ان لا تفصح عن شيء الآن.

- ماذا تعني بكلامك يا جو؟

- أعني حقيقة شعوري نحوك.

- وما هو شعورك؟

- الا تعرفين؟

قال ذلك وكأنه كان على يقين انها تعرف. ونظرت اليه بعينيها الخضراوين الواسعتين اللتين لم تعودا قادرتين على اخفاء ما يعتمر في داخلها من مشاعر.

واقترب منها فاقتربت هي أيضاً، وغابا في عناق طويل. واغمضت عينيها مستسلمة وذراعاها حول عنقه. وتأججت في أعماقهما نار الغرام ولا سبيل الى اطفائها، فتمتم قائلاً:

- آه، كم افتقدتك! وكم مرة عزمت على العودة الى انكلترا للاجتماع بك. ولكني ترددت مخافة ان أوصف بالجنون. فانت تكرهين طريقتي في الحياة، ولم يكن من الانصاف ان أدعوك الى ان

تشاركيني هذه الطريقة. وحاولت ان أنساك، ولكن عبثاً. وضاقت الدنيا في عيني ولم أعد استطيع التركيز على عملي.

فقالت له:

- مسكين انت يا حبيبي جو!

- لا تشمتي بي. حتى والداي لاحظا ما كنت أعانيه. ولم أستطع كتمان الأمر عن والدتي، لأنها لا تقبل بالكتمان، فاخبرتها بكل شيء.

- وماذا قالت لك؟

- اشارت علي ان ابني بيتاً خاصاً بي، واقلل من عملي كمغن، واصرف وقتاً اكثر في بيتي.

ونظرت كوينسي اليه نظرة شك، فتابع كلامه قائلاً:

- ليس عندي الكثير مما اقدمه لك. املك مالاً كثيراً، ولكن حياتي الآن لا تزال جنوناً وفوضى، فلا استطيع ان أقدم لك السلام والطمأنينة. وهكذا ترين ان لا شيء لي الا انت. وهذا يجعلني آخذاً لا معطياً. ولذلك فأنا احتاج اليك اكثر مما تحتاجين الي.

فضحكت كوينسي وقد سالت من عينيها دموع الفرح، وقالت:

- هل جننت؟

- ربما. فلا يحق لي ان أجرك الى نوع الحياة التي أحياها.

- ولماذا لا؟ فحياتك حياتي!

ولما نظر اليها غير مصدق كلامها، تابعت قائلة:

- أنا أحبك ايها الأبله، الا ترى؟

فلم يجب بكلمة، بل اكتفى بسؤالها قائلاً:

- ماذا كنا نتحدث؟

- لا شيء. لم نكن نتحدث عن شيء!

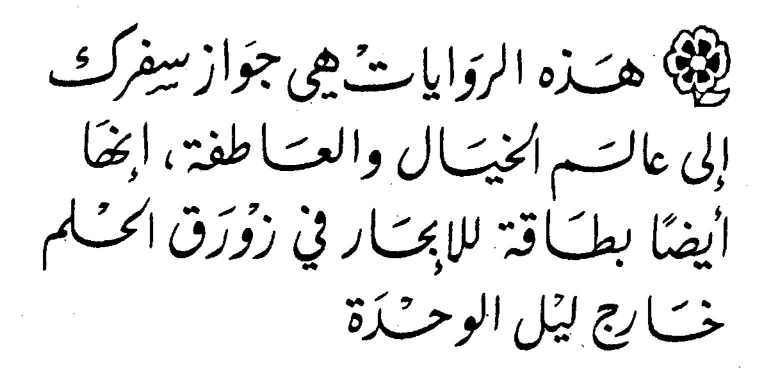
ـ ولماذا الحديث؟ فلننتقل الآن الى الفعل.
قال ذلك وضمها اليه في عناق حار.

روائع الأدب الرومانسي

لا ترحلي	آخر الاحلام
عذراء في المدينة	هل تخطىء الانامل
الامواج تحترق	البحر الى الابد
العروس الاسيرة	الحصار الفضي
رجل بلا قلب	الشبيه
سيدة القصر الجنوبي	الكذبه
شهر عسل مر	الندم
عيناك بصري	انت لي
من اجل حفنة جنيهات	جراح باردة
رجل من نار	طائر بلا جناح
نداء الدم	عاطفه من ورق
ليالي الغجر	قطار في الضباب
ما اقصر الوقت	قل كلمة واحدة
قلب في المحيط	مندلا
المجهول الجميل	تعالى
الزواج الابيض	السعادة في قفص
أقدام في الوحل	هاربة
قال الزهر آه	هذيان
كيف أحيا معك	أرياف العذاب
غضب العاشق	اللهب والفراشة

روائع الأدب الرومانسي

مزرعه الدموع	دليلة
الواحه	القيد
الضائعون	الماس اذا التهب
صرخه البرارى	زوجة الهندى
دليلى	السر الدفين
دخان	طال انتظارى
الثأر	الوجه الآخر للنئب
وفازت	برج الرياح
خذ الحب واذهب	الماضى لا يعود
اللؤلؤة	لقاء الغرباء
لا تقولى لا	وردة قايين
المجهول	عصفور فى اليد
بين السكون والعاصفه	الغيمة اصلها ماء
رمال فى الاصابع	الهوى يقرع مرة
الشريدة	خيط الرماد
شاطىء العناق	الصقر واليمامة
نهبى الشعر	حتى تموت الشفاه
تعالى إلى الأدغال	أصابع القمر
الفخ	وعاد فى المساء
فى قبضة الأقدار	القرار الصعب



- هَذه الرَوايات هي جوَاز سفرك إلى عالَم الخيَال والعَاطفة، إنهَا أيضًا بطَاقة للإبحَار في زوْرَق الحلم خَارج ليْل الوحْدَة

- تأخذك هَذه الروَايات إلى حيْث تشعّ منَارة اللقَاء ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعَادة

- في روَايات عبير أصَابع الحنان تغيّر مجرَى الأيَام نحو ربيع المشاعر

- إنّهَا دنيَا الحب، تجمّعَت في سطور...

مِنَ القلبْ ... إلى القلبْ

